جامعة غرداية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

شعبة التاريخ

الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري و ردود الفعل الوطنية

1332-1268 هـ/1852-1914م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث و معاصر

إعداد الطالبة : إشراف/ الأستاذ الدكتور :محمد حوتية

نجاة العيورات المشرف المساعد الأستاذ :أحمد جعفري

لجنة المناقشة

د/ عمر بن قايد رئيسا

أ.د محمد حوتية مشرفا و مقررا

أ.أحمد جعفري مشرفا مساعدا

أ. درويش الشافعي مناقشا.

السنة الجامعية :1434-1435/ 2013م-2014م

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله أولا وقبل كل شيء صاحب النعمة المسداة الذي رزقني التوفيق والسداد ووفقني بقدرته على إتمام هذا البحث المتواضع، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وآله وصحبه أجمعين.

أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور المحترم محمد حوتية على إشرافه لهذه المذكرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المساعد:أحمد جعفري على متابعته للعمل وتوجيهاته.

وإلى كل أساتذتي بجامعة غرداية وأخص بالذكر:"صالح بوساليم "-"إبراهيم طاس"-"أبوبكر محمد السعيد"-"الشافعي درويش"-"عبد الجليل ملاخ "-"جلول بن قومار".

وإلى زميلاتي بجامعة غرداية.

إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في انجاز هذا البحث المتواضع.

نجاة العيورات

1. تقديم الموضوع:

ظلت الصحراء الجزائرية خلال العهود الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي صعبة المنال بالنسبة للفرنسيين و لكنها ظلت من اهتماماتهم ،ولهذا فقد انصب انشغال فرنسا بالصحراء أكثر من اهتمامها بالشمال ، وقد قامت فرنسا بالعديد من الدراسات الطبوغرافية والمناخية والاجتماعية للمناطق التي وصلها المستكشفون ،وذلك للتعرف على مسالك الصحراء ليسهل لها التوسع جنوبا وقد عملت على تذليل الصعاب أمام المد التوسعي وشق الطرقات ومد السكة الحديدية، لأن عمليات التجسس والاستكشافات والاستطلاعات الأوربية كانت مراحل هامة في مجرى إنجاح عملية الاحتلال الفرنسي

وقد ارتأيت أن يكون موضوع مذكرتي بعنوان الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية 1852-1914م.

2. دوافع اختيار الموضوع:

هناك دوافع ذاتية وأخرى علمية أوجزها في الآتي:

- **الذاتية:**

إن اختياري لدراسة موضوع الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري هو نابع من اقتناعي ورغبتي في الخوض في معرفة حقائق وجود الاستعمار الفرنسي في المنطقة والأساليب التي اتبعها المستعمر في إخضاع الشعب في هذه المناطق.

- **الموضوعية:**

رغم الدراسات المستفيضة التي تناولت موضوع التوسع الفرنسي في الجنوب وردود الفعل الجزائرية إلا أن ذلك غير كاف من الوجهة التاريخية، مقارنة بثقل التضحيات التي قدمها سكان الصحراء لتصديهم ومحاربتهم للتوسع الاستيطاني الفرنسي في الجنوب. ونظرا لخطورة الاستعمار الفرنسي في الجزائر عامة والصحراء خاصة، ومخططاته الاستعمارية التي استهدفت السكان في هذه المناطق، كان يجب الخوض في مثل هذه الموضوع.

3. أهداف الدراسة:

وتكمن فيما يلي:

_ محاولة تركيز البحث حول تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجنوب والسعي ومحاولة فهم أبعاده .

_ كشف الستار على المستعر والوسائل والأساليب الذي اتبعها في بسط نفوذه على مناطق الجنوب الجزائري.

_ الخوض في مثل هذا الموضوع يجعل أهالي الجنوب يسعون للإطلاع عليه من أجل التعرف على فترة هامة عاشتها مناطق الجنوب.

_إبراز جانب هام من المقاومة في جنوبنا الكبير.

4. إشكالية الدراسة:

لم تقف شساعة الصحراء الجزائرية وتضاريسها الوعرة و قساوة مناخها ومقاومة أهلها بدا في وجه الأطماع الاستعمارية الفرنسية التوسعية ،ومن هنا تأتي اشكالية الدراسة:

استطاعت فرنسا أن تتوغل في الجنوب الجزائري الكبير

وتتفرع منهجيا إلى إشكاليات جزئية تتمثل في التساؤلات التالية:

_ماهي دوافع اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري؟

_ماهي المشاريع التي وضعتها فرنسا من أجل التوسع في الجنوب الجزائري؟

-كيف تم التوسع في الجنوب الجزائري؟

_وماهي المناطق التي اهتمت بها فرنسا وركزت على احتلالها؟

_كيف كان موقف سكان المنطقة من الاستعمار؟وفيما تمثلت ردة فعلهم على ذلك؟

5-المنهج المتبع:

تفرض طبيعة موضوع الدراسة توظيف مناهج عدة،وقد استعنت بالمنهج التاريخي الوصفي لأن طبيعة الموضوع تقتضي دراسة تاريخية نظرا لما تحتويه من عرض لأحداث تاريخية .

واستعنت بالمنهج التحليلي الذي يقتضي تناول المادة ودراسة الظواهر وتفسيرها قصد الوصول إلى معرفة الدوافع الحقيقية لاهتمام الفرنسيين في الجنوب الجزائري.

5. تقسيمات الدراسة:

قسمت خطة هذا الموضوع إلى مقدمة ومدخل تطرقت فيه إلى الإطار الجغرافي والتاريخي والأوضاع العامة للصحراء قبيل ولوج الاستعمار الفرنسي المنطقة، وثلاثة فصول رئيسية:

الفصل الأول جاء بعنوان المخططات الفرنسية للتوسع في الجنوب الجزائري، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث،الأول جاء بعنوان تقارير الرحالة الأوربيون عن الصحراء الجزائرية ،وتحدث فيه عن البعثات الانجليزية والفرنسية لاستكشاف الصحراء بالإضافة إلى الدراسات العلمية التي ساعدت الفرنسيين على عملية التوسع ،والمبحث الثاني يتعلق بالمشاريع الفرنسية لاحتلال الجنوب الجزائري،ومنها مشروع السكة الحديدية ومشروع البحر الداخلي ،أما المبحث الثالث جاء بعنوان المبشرون ودورهم التوسعي في الجنوب وتعرضت فيه إلى مفهوم التبشير،وعلاقة الكاردينال لافيجري والأب دو فوكو بالسلطة الاستعمارية.

أما **الفصل الثاني** جاء بعنوان التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وهو بدوره مقسم إلى ثلاث مباحث،الأول يتناول التوسع الفرنسي في شمال الصحراء و أخص بذلك الأغواط، غرداية، ورقلة، تقرت،و الثاني بعنوان التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي يتناول منطقة عين صالح،توات والساورة ،

أما الثالث جاء بعنوان التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي وأعني بذلك الهقار والطاسيلي.

أما الفصل الثالث فخصصته لردود الفعل الوطنية والذي قسمته إلى ثلاث مباحث،الأول تحدثت فيه عن المقاومة في شمال الصحراء أي مقاومة محمد الشريف بن عبد الله، ومقاومة ناصر بن شهرة، ومقاومة محمد بن التومي إبراهيم المدعو بوشوشة،والثاني المقاومة في الجنوب الغربي،والذي من معاركه ،معركة الفقيقيرة ومعركة

الدغامشة ومعركة اينغر،أما المبحث الثالث ،جاء بعنوان المقاومة في الجنوب الشرقي وتحدث فيه عن مقاومة طوارق الهقار ومقاومة الشيخ آمود.

6. الصعوبات:

لا يخلو أي عمل جاد أكاديمي من عدة عراقيل أو صعوبات ،ومن أولى الصعوبات التي واجهتني :

-قلة المصادر والمراجع المتخصصة باستثناء المقالات التي نشرت في المجلات و الملتقيات.

-الأحداث الأخيرة التي شهدتها منطقتنا جعلتنا عاجزين عن التنقل والبحث ، فهناك مكتبات لم أستطع الوصول إليها رغم ثرائها بالكتب التاريخية.

7. التعريف بالمصادر والمراجع:

فيما يخص الدراسات السابقة لهذا الموضوع،فإن الاهتمام بتاريخ الصحراء الجزائرية ليس أمرا جديدا،فالكتابات حول تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجنوب والصحراء كثيرة، إلا أن أغلبها غير متخصصة ولعل ما كتبه إبراهيم مياسي من خلال كتابه الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،يعد إسهاما قيما في فهم طبيعة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري .واستفدت أيضا من كتابات يحي بوعزيز خاصة في عنصر المشاريع الفرنسية وكذا المقاومة،وكتاب عميراوي حميدة السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية إلا أنه يتناول الموضوع بشكل عام،وكتاب محمد باي بلعالم من خلال المجلد الثاني من كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات،الذي استفدت منه في المقاومة في منطقة توات،ومذكرة ماجستير لرضوان شافو التي تحمل عنوان مقاومة منطقة تقرت وجوارها ،والتي استفدت منها في عنصر احتلال منطقة تقرت.

أما الخاتمة فكانت عبارة لأهم الملاحظات والاستنتاجات التي خلصت إليها حول هذا الموضوع وذيلتها بمجموعة من الملاحق التوضيحية .

وفي الأخير نسأل الله أن يوفقنا لما فيه خير للبلاد والعباد .

تعتبر الصحراء الإفريقية بما فيها الصحراء الجزائرية، قلب العالم لما تحتله من موقع استراتيجي هام، فهي بمثابة جسر عالمي يربط الأجزاء المختلفة شمالا وجنوبا، شرقا وغربا[1].

يعتبر الجنوب الجزائري جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ويحدها من الشمال الجبال الأطلسية وفي الشمال الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما من الناحية الجنوبية، فيحدها ما يعرف ببلدان الساحل[2].

والصحراء هي من الشرق إلى الغرب: جبال النمامشة والأوراس، ثم جبال أولاد نايل وجبال الجلفة وجبال عمور وجبال القصور[3].

يشكل هذا القسم جنوب البلاد بكامله وتعود أهميته إلى عوامل متعددة أهمها موقعه الجغرافي[4]، وتأخذ الصحراء نسبة 84% من مساحة الجزائر، أي حوالي 2مليون كلم^2.[5]

كانت الصحراء الكبرى الإفريقية عالما مجهولا بالنسبة للأوروبيين، إلا أن هيرودوت قدم عنها لأول مرة معلومات، بعد أن قام برحلة إلى برقة ودواخل ليبيا في القرن الخامس قبل الميلاد، وفي عهد القرطاجيين قام حانون القرطاجني برحلة إلى المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، وخلال الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا، اقترب الرومان من أطراف الصحراء الشمالية، وفي مطلع القرن الأول المسيحي تمكن كورنيليوس بالبوس من عبور الصحراء عام19م[6].

---

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، 2009، ص395.

[2] إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 93.

[3] أحمد توفيق المدني: هذه الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص28.

[4] أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، دار الرائد، د م ن، ط2، 2004، ص27.

[5] الهادي قطش: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص25.

[6] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، د د ن، الجزائر، 1999، ص61.

وفي العصر الإسلامي جاب الصحراء الكبرى رحالة ومؤرخون، ذكروا معالمها وظروفها السياسية والحضارية في كتبهم أمثال ابن حوقل في القرن العاشر ميلادي[1]، والبكري في القرن الحادي عشر ميلادي[2].

وكذلك ابن بطوطة الذي توغل داخل السودان في رحلته الثالثة وسجل ملاحظاته: "ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء وهي مسيرة عشر لا ماء فيها إلا النادر، ووجدنا نحن بها ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر، ولقد وجدنا في بعض الأيام غديرا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فترونا منها وغسلنا ثيابنا، والكمأة بتلك الصحراء كثير"[3].

كما قام الرحالة أبو الحسن الوزان في مطلع القرن السادس عشر برحلة إلى الصحراء قدم خلالها معلومات هامة:"تقع وراء الأطلس بلاد جافة وحارة، توجد بها أنهر قليلة... ليس بهذه البلاد سوى القليل من الأراضي التي يمكن زراعتها، لكن فيها كمية عظيمة من النخيل"[4].

وخلال القرن السابع عشر قام العياشي برحلة إلى المشرق لأداء مناسك الحج، وقد سلك في الذهاب والإياب الطرق الصحراوية بالمغرب الأوسط، انطلاقا من سجلماسة، وقدم معلومات قيمة عن بلدة المنيعة[5]، ثم واصل رحلته إلى ورقلة وسوف وطرابلس ومصر، أما في

---

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص395.

[2] أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك، تح جمال طلبة، مجلد2، ط1، 2003، ص250.

[3] ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص684.

[4] الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، تر وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ج1، 1983، ص75.

[5] وتعرف بالقليعة،وهي واحة من أجمل الواحات وقد تغنى الكتاب والشعراء بوصفها ،وبه مركز للمبشرين والمبشرات لا يزال إلى اليوم،وبها قصر قديم ويسمى قصر (خفيان)،أنظر:سليمان داود بن يوسف:انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء،الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي،ج1،1979،ج1 ،124 .

العودة فقد مر ببسكرة و الأغواط وعين ماضي وغيرها، وقد قدم أخبار هامة عن هذه المناطق[1].

المبحث الأول: تقارير الرحالة الأوروبيون عن الصحراء الجزائرية.

أ/البعثات الإنجليزية لاستكشاف الصحراء الجزائرية:

يعود الاهتمام الأوروبي بالصحراء إلى عهد الكشوف الجغرافية البحرية الاستعمارية خلال القرن الخامس عشر وما بعده، وفي أواخر القرن18 ومطلع القرن 19 اشتد التنافس الاستعماري بين الفرنسيين والانجليز والألمان حول القارة الإفريقية وكان من أسباب هذا التنافس:

1-إيجاد مجالات للصناعة والتجارة الأوروبيتين فيما يخص الأسواق ومواد الخام.

2-البحث عن مجال لإسكان فائض السكان.

3-القيام بدراسات علمية متنوعة: طبيعية وبشرية واقتصادية.[2]

أول من اهتم بإفريقيا والصحراء هم الإنجليز، بعدما تقلص نفوذهم في أمريكا الشمالية وفقدوا مستعمرتهم هناك،[3]فتشكلت في إنجلترا سنة1788م جمعية أطلق عليها اسم "الجمعية الإفريقية" (African Association) وهذه الجمعية تختلف عن الجمعية الآسيوية، حيث كانت تستهدف دراسة المناطق وجمع المعلومات، بهدف التوغل والاستكشاف داخل القارة الإفريقية[4].

---

[1]إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010، ص76.

[2]يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص62.

[3]يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ماكتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ج1، 1979، ص47.

[4]اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية، الجزائر، د ت ط، ص64.

قامت "الجمعية الإفريقية" بإرسال ثلاثة من الرحالين من بينهم هورن مان [1] HORN men الألماني و"لوكاس"LUCKASو "ليدبارد"LUDBARD لكنهم ماتوا جميعا، إما بسبب الأمراض أو أنهم تعرضوا للقتل.[2]

واختارت الجمعية فيما بعد مغامر اسكتلندي وهو "مونجو بارك" الذي نجح في اكتشافه لإفريقية الغربية، حيث وصل هذا الرحالة إلى نهر النيجر في سنة1796م[3].

وجهزت بريطانيا عدة رحلات أخرى لاستكشاف الصحراء ومجرى نهر النيجر، فبعد سنة1815م انطلقت البعثات من غرب إفريقيا وشمالها وشرقها منها رحلة الدكتور "آوديني"، والملازم "كلابرتون "والنقيب" ديكسون دينهام" بالإضافة إلى رحلة "ريشاردلاندر" الذي اكتشف مصب نهر النيجر وخليج غانا[4].

كما وجهت الحكومة البريطانية بعثة استكشافية رسمية برئاسة "جوزيف ريتشي"، وكان ذلك في سنة 1818م، حيث كلفته بأن يتجه من طرابلس إلى السودان وقد رافقه في هذه البعثة ضابط البحرية الكابيتان "ليون"، حيث غادر طرابلس في مارس1819م إلى "مرزق "ولكنه هلك في الطريق وعاد ليون إلى طرابلس[5].

واتصلت "الجمعية الإفريقية" في هذه الفترة[6] بمغامر آخر وهو النقيب "غوردن لان "الذي قام برحلة من سيراليون إلى تمبكتو عبر توات عام1826م[7].وشجعت رحلة "رونيه كاييه "بريطانيا على أن تعاود اكتشاف الصحراء التي تفصل شمال إفريقيا عن النيجر، فأرسلت سنة1836 الرحالة "جون دافيدوسون" من الساحل الأطلنطي بالمغرب الأقصى قاصدا مدينة تمبكتو إلا أنه قتل في تندوف[8].

---

[1] ترك هذا الرحالة سفرا سجل فيه الأحداث التي صادفها في رحلته وقد ترجمت هذه الرحلة من الإنجليزية إلى الفرنسية، أنظر: اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص66.

[2] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص398.

[3] اسماعيل العربي : المرجع السابق، ص65.

[4] إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص80.

[5] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص63.

[6] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص402.

[7] يحي بوعزيز: المقال السابق، ص47.

[8] إبراهيم مياسي:الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص405.

بعد ذلك أرسلت بريطانيا مستكشفا ألمانيا وهو الرحالة هنري بارث[1](HENRI BARTH) ،حيث اتصلت به الجمعية الإنجليزية من أجل تنظيم تجارة لها في السودان والصحراء وبالخصوص تجارة العبيد،وكان برفقة "بارث" في هذه الرحلة كل من جيمس "ريشاردسون "و أوفروانغ"[2].

فقام الدكتور "هنري بارث" برحلتين في عامي 1849-1855م من طرابلس إلى غدامس، وغات بفزان وإلى تشاد وتمبكتو عبر قورارة وتوات وتيديكلت وفقد في هذه الرحلة صديقيه "ريشاردسون "و"أوفروانغ"[3].

وقد استطاع "بارث "من خلال رحلته أن يقدم معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء وتشاد، حيث نجح في تحقيق الكثير من المعلومات الجغرافية والجيولوجية وحتى التاريخية للسكان.

وقبل وفاته بقليل، أي شهر جانفي 1865 كتب مقالا في نشرة الجمعية الجغرافية بباريس شجع فيها فرنسا على القيام بعمل واسع في الصحراء الإفريقية[4].

ب/ البعثات الفرنسية لاستكشاف الصحراء الجزائرية:

بعد استكشاف الانجليز والألمان للصحراء دخل الفرنسيون مجال المنافسة في الاستكشاف[5].

ولم يكن تفكير فرنسا في توسعها العسكري نحو الصحراء وليد تاريخ الاحتلال أو القضاء على المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية، وإنما يعود إلى سنة1824،[6]أوقبل ذلك بكثير حيث بدأ الفرنسيون مغامرتهم في الصحراء الإفريقية منذ رحلة "روني كايي" في أعوام1824-1828 وازداد حماسهم بعد احتلالهم لمدينة الجزائر عام 1830، وتمحورت اهتمامات الفرنسيين في ثلاث محاور رئيسية وهي:[7]

---

[1]ولد بارث في حضن عائلة عريقة من ملاك الأرض في ولاية ثورينج، وبعد مراحل الدراسة الأولى، التحق بجامعة برلين (1839-1944) حيث درس الفلسفة وفقه اللغة وعلم الحفريات، وكان شغوفا بكتب روبنصون كروز، ورحلة روني كاييه الفرنسي ورحلة مونجو بارك، أنظر: اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص74.

[2]إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص406.

[3]يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص67.

[4]إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص407.

[5]اسماعيل العربي : المرجع السابق، ص69.

[6]احميدة عميراوي وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص64.

[7]يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص64.

المحور الأول: هذا المحور هو الهدف الأساسي بالنسبة للفرنسيين، ويتمثل في التركيز على الغزو والتوسع الاستعماري الذي يسمونه بالاستكشاف، إذ حاولوا التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية، كما حاولوا استكشاف المظاهر الجغرافية الطبيعية، ودراسة المجموعات السكانية[1].

المحور الثاني: هذا المحور جاء نتيجة للاهتمام الأول ولخدمته وتدعيمه، ويتمثل في محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف لتسهيل عملية التنقل للقوات العسكرية والمغامرين، وعليه بدأ الفرنسيون في دراسة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية والمناخية لتحديد المناطق التي تصح لمد هذه الخطوط الحديدية[2].

المحور الثالث: جاء هذا المحور لخدمة المحورين السابقين ويتمثل في محاولة خلق بحر داخلي صحراوي، من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء[3].

1.بعثة روني كايي:

يعتبر "روني كايي" أول المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا إلى عمق الصحراء الجزائرية، حيث عبرها انطلاقا من السنغال حتى مدينة تمبكتو[4]، ثم عاد عبر طريق تافيلالت إلى فاس والرباط وطنجة، فيما بين عامي1824-1828 م[5].

ولقد كان يتطلع إلى اختراق الصحراء من السنغال إلى مصر والحجاز، ولكن اعترضت سبيله صعوبات عديدة فاكتفى بالوصول إلى تمبكتو ومنها توجه نحو المغرب[6].

---

[1] بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة، العدد72، 1979، ص52.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص64.

[3] -يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق...، المقال السابق، ع 72،ص52.

[4] تمبكتو هي إحدى المدن الاستراتيجية والحيوية التي تقع على ضفاف نهر النيجر، وبفضل موقعها الاستراتيجي شكلت سوقا تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات، وخاصة من مصر وفزان وغدامس وتوات وفاس، وغيرها من المدن، أنظر: حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص65.

[5] يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء....، المقال السابق، ع72 ، ص51.

[6] حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص65.

وعليه يمكن القول أن "روني كايي" يعتبر من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا إلى الصحراء، حيث عبرها من السنغال إلى تمبكتو ثم عاد عن طريق توات وتفيلالت ومنها إلى فاس والرباط ثم طنجة.

وقد قدم معلومات هامة إلى المصالح المهتمة باحتلال الصحراء، وقد ساعدت هذه المعلومات فرنسا في التوسع نحو الجنوب الغربي[1].

كما قام "إدوارد فوجيل" (EDOIRED VOGEL) برحلة من طرابلس إلى أعماق الصحراء سنة1853م[2].

وقام "بونمان "برحلة إلى غدامس عبر سوف عام1857، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كثف الفرنسيون نشاطهم الاستكشافي في الصحراء، حيث قام الضابط "دوكولومب" برحلة استكشافية نحو الجنوب الغربي الجزائري[3].

ولقد استعان "دوكولومب" بالخليفة سي حمزة ولد بوبكر الزعيم الروحي لأولاد سيدي الشيخ ، وبعض من رجال الشعانبة، ليستدل على الطريق الأسهل بغية العبور إلى الجنوب ،وفي شهر جانفي من سنة1857 م سافر الموكب قصد استكشاف قصور تيقورارين وتوات وتيديكلت[4] .

2.هنري دوفيري:

ولعل من أهم البعثات الاستكشافية بعثة "هنري دوفيري"[5]، الذي بدأ رحلته من سكيكدة يوم 8ماي1859م متجها إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة[1].

---

[1] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص405.

[2] يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر....، المقال السابق، ص51.

[3] إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص410.

[4] إبراهيم مياسي :نفسه، ص410.

[5] ولد هنري دوفري في باريس سنة1840، أرسله والده وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، إلى ألمانيا لدراسة التجارة، تعلم اللغة الألمانية والفرنكية، وأتم دراسته في مدرسة التجارة في مدينة ليبزيج خلال الفترة بين1855-1857، ولكن دوفري لم يكن على استعدادا لممارسة

ومن بسكرة اتجه إلى القرارة يوم 13جوان من نفس السنة، ثم عاد إلى غرداية التي وصلها يوم21جوان ثم توجه نحو متليلي[2]، ومنها إلى المنيعة[3]، التي وصلها يوم الفاتح من سبتمبر ولم يرحب به سكانها[4].

عاد "دوفيري "إلى غرداية ومنها إلى الأغواط بهدف التوجه إلى قصور توات وبلاد التوارق، لكنه غير اتجاهه نحو الصحراء، فغادر الأغواط أواخر سنة1859 م، واتجه إلى القرارة ومنها إلى تقرت وبسكرة ثم قسنطينة لأخذ قسط من الراحة[5].

وبعد استراحته في مدينة قسنطينة، توجه نحو مدينة بسكرة، وكان ذلك في أول فيفري من سنة1860، ومنها إلى وادي سوف، ثم إلى الجريد في الجنوب التونسي، ثم توجه إلى قابس وقبيلي ونفزاوة، ثم عاد عن الطريق الشمالي إلى قفصة ثم توزر.[6]

ويوم 3أفريل قرر العودة إلى بسكرة وسلك ممر شبيكة وتامزا، ثم اتجه بعدها إلى بسكرة يوم10أفريل 1860، مرورا بكل من النقرين وواحات عين التاقة وسيدي عقبة.

والملاحظ حول هذه التحركات أنها كانت تتم بسرعة، ويرجع ذلك إلى خوفه من قطاع الطرق.[7]

وبعد هذه الرحلة كلفه الوالي العام للجزائر بالاستعداد للقيام برحلة إلى التوارق وعلى إثرها غادر المدينة باتجاه الوادي ومنها إلى غدامس بمساعدة الشيخ عثمان والشيخ منيكول أيخوخن.[8]

التجارة، وكان أمله ينحصر في السفر إلى إفريقية، وقد جاء في مذكراته "كنت أشعر بجاذبية لا تقاوم إلى القارة الإفريقية".أنظر:اسماعيل العربي،المرجع السابق،ص86.

[1]حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص66.

[2]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص410.

[3]دحمان تواتي وآخرون: دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية1956-1962، د م ن، 2008، ص19.

[4]إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص410.

[5]إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص62.

[6]حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص67.

[7]إبراهيم مياسي : قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص83.

[8]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص411.

غادر دوفيري غدامس[1] أوائل شهر ديسمبر من سنة 1860 واتجه إلى غات مع توصية الشيخ عثمان وزعيم التوارق أيخوخن، ومن غات إلى فزان ثم اتجه نحو طرابلس ومنها إلى الجزائر لاستعداد إلى رحلة أكبر ولكن لم يسعفه الحظ في مواصلة رحلاته.[2]

لكن من حسن الحظ أن المذكرات والملاحظات التي سجلها كتبت بعناية[3]، فقد قدم معلومات هامة حول هذه المناطق في كتابه "طوارق الشمال" (Les Touareg du nord)[4]، وفي هذه الفترة، وبالتحديد في شهر نوفمبر سنة1860، قام كل من "كولونيو" و "بورمان" بتنسيق رحلة مع إحدى القوافل التي تنشط بين سعيدة والبيض،[5]وفي هذه الرحلة تعرف كولونيو على قورارة و أوقيروت، أما بورمان فقام برحلة من بنغازي إلى السودان.[6]

3.جيرهارد رولفس:(Gerhardt Rohlfs)

قام "جيرهارد رولفس "[7]برحلات عديدة لكشف الصحراء، وقد انضم إلى فرقة اللفيف الأجنبي الفرنسي التي كانت تعمل بالجزائر،ففي البداية اتجه إلى المغرب الأقصى حيث تجول في الجزء الجنوبي منه فاتجه نحو السوس،وبعده إلى وادي درعا ومنه إلى تافيلالت ثم فقيق فوهران،وفي الرحلة الثانية انطلق رولف من طنجة إلى واد زيز عبر الأطلسي،ومن هناك إلى وادي الساورة ثم ايغلي وبني عباس ثم واحات توات وتيديكلت وعين صالح

---

[1]غدامس إحدى المدن الحيوية والإستراتيجية، تقع حاليا على الحدود الليبية الجزائرية ونظرا لموقعها الجغرافي وتوفرها على عناصر الحياة شكلت قاعدة تجارية وعسكرية عبر مراحل تطورها، أنظر : حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص65.

[2]حميدة عميراوي، نفسه، ص68.

[3]اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص87.

[4]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص413.

[5]حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص68.

[6]يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص67.

[5]جيرهارد رولفس اسمه الحقيقي فريد بيك جيرهاررد رولفس ولد في 14أفريل سنة1831م في منطقة بريمن الحرة وتوفي سنة 1896 وهو من أشهر الرحالة الألمان ،أنظر: مؤنس مفتاح :جيرهارد رولف –رمز أدب الرحلة الألماني 2012

ثم غدامس ومنها إلى طرابلس.[1] وبذلك يكون رولفس قد نجح في اختراق الصحراء من المغرب الأقصى حتى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية[2].

أما رحلته الموالية،فقد انطلق من طرابلس عبر عرق مرزق متجها إلى التشاد ثم إلى بورنو ومنها إلى لاغوس،وبذلك يكون رولفس أول رحالة أوربي يعبر إفريقا الغربية من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى ساحل غانا جنوبا [3] .

4.بعثة فلاترس:

تعتبر بعثة "فلاترس"[4]، بمثابة عهد جديد لعمليات الاستكشاف، إذ قام فلاترس برحلتين من ورقلة إلى الأغواط[5].

وأسندت إلى فلاترس مهمة القيام بعملية استكشاف لمد طريق صحراوي من الجزائر إلى النيجر[6].

وضمت هذه الرحلة عشرة أعضاء وهم: "فلاترس" عقيد المشاة، والقائد الأعلى الأسبق للأغواط، و"موسون" نقيب أركان الحرب، و"برانجه" مهندس الجسور والطرقات، و"روش" مهندس المناجم، و"برنار"

---

[1] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق،ص416

[2] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص91

[3] إبراهيم مياسي:الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية،المرجع السابق،ص417

[4] شغل منصب الحاكم العسكري لمنطقة الأغواط، أنظر : اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص102.

[5] إبراهيم مياسي: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر،ص225.

[6] يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص69.

النقيب في سلاح المدفعية، وغيار الطبيب ولؤساتولييهوبروسلار مسيري الجسور والطرقات[1]، وتم تعيين هؤلاء الأعضاء خلال شهر ديسمبر[2].

انطلقت البعثة الأولى من ورقلة يوم21ماي 1880 باتجاه منطقة الزاب حيث سلكت البعثة دروبا جديدة، لهذا استطاع فلاترس أن يقدم معلومات مهمة حول المناطق التي اجتازها[3].

وغادرت البعثة بلدة العطف وسلكت وادي ميزاب[4] وصولا لبني يزقن بغرداية ومن غرداية اتجهت البعثة نحو بلدة بريان ومنها إلى مدينة الأغواط، ومن هناك عاد فلاترس إلى باريس، حيث تلقى الدعم المادي من طرف مصلحة الطريق الصحراوي[5].

وبعد تلقيه الدعم المادي عاد فلاترس إلى ورقلة ونظم رحلته الثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري بهدف اكتشاف بلاد الطوارق، ودراسة مشروع خط حديدي عبر الصحراء، وظهرت البعثة بمظهر الاستكشاف العلمي[6].

انطلقت البعثة من ورقلة يوم4ديسمبر1880[7] باتجاه السودان واستقرت بـ إيزامن ثم غادرتها يوم30جانفي1881م للبحث على سبخة أما دقور[8].

ومن هناك تم التوجه إلى "تيماسنين" وصولا إلى بئر الغرمة يوم16فيفري، وهناك قام التوارق بقتل فلاترس ورفاقه.[9]

---

[1] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص423.

[2] حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص72.

[3] إبراهيم مياسي: المقال السابق السابق، ص225.

[4] في هذا الواد ستة بلدان وقرى أكبرها غرداية، أما المدن الخمس الباقية، فهي: بن يزقن، بونورة، العطف، مليكة، وسيدي السعيد، أنظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج2،عالم المعرفة،2011 ص258.

[5] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص424.

[6] حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص73.

[7] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص105.

[8] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص424.

[9] يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص69.

تعتبر أحداث هذه البعثة بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية في الصحراء، لذلك تعطلت الاستكشافات لمدة قصيرة ثم انطلقت من جديد رغم كل المخاطر[1].

ج/التقارير والاستخبارات ودورها في عملية التوسع:

لقد كان الاهتمام الأوروبي في الصحراء الجزائرية سابقا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة وذلك من خلال ما دونه الرحالة الأوروبيون واستفاد منه الضباط الفرنسيون في معرفة أحوال الصحراء في حملاتهم التوسعية في جنوب الجزائر، من بينهم:

-الضابط أوجييرا: الذي درس الجوانب العلمية والفلكية والمظاهر الطبوغرافية لواحات الساورة وتوات وموريتانيا.[2]

وموريتانيا.[2]

-دراسة باجول: تحدث باجول عن التكوين الجغرافي والطبوغرافي والآبار المائية لصحراء ورقلة من ودامية إلى واد ايغرغر.

-دراسة موريس: حيث اهتم بدراسة لمظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية لسكان التوارق بالهقار، واستعرض عاداتهم وتقاليدهم وبعض جوانب تاريخهم السياسي والحضاري[3].

-دراسة بيربروجي: اهتم بدراسة الآبار المائية والانتاج الفلاحي لمنطقة واد ريغ.

-دراسة برنارد: حيث اهتم بدراسة حوض الساورة وزوفانة وقصورهما.

-دراسة داتانو: قام داتانو بدراسة الأرض والانتاج للمنطقة الصحراوية، وكيفية الاستغلال الاقتصادي بها، كما اهتم بدراسة بعض مظاهر حياة الطوارق في أقصى الجنوب[4].

---

[1] إبراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص426.

[2] حميدة عميراوي: من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص99.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص73.

[4] يحي بوعزيز : اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء....، المقال السابق، ع 72 ،ص106.

-دراسة بيسي: قام بدراسة منطقة تيدكلت من الناحية الجغرافية والسكان والسلالات والعادات ومصادر الثورة، بالإضافة إلى ذلك تحدث عن مناطق المويدير، واهنيت، والهقار وأدرار وتانزروفت[1]، وفعل مثله الضابط "هنري بيسويل"، حيث درس عادات التوارق وأسلحتهم وأساليب حروبهم كما درس منطقة تادميتوتيدكلت وتوات وقورارة، ودعا إلى ضرورة تركيز الاحتلال الفرنسي لهذه المناطق لأهميتها في ربط الجزائر بتشاد[2]

-جاك بوركار: تحدث عن النتائج العلمية والجيولوجية والعسكرية، التي توصلت إليها بعثة أوليفسي جنوب تونس وسوف وتقرت و ورقلة و ودامية وتادمايت وتمنراست وأهنيت وأولف وقورارة وواد الناموس وفقيق[3].

كانسيل: درس جغرافية عرق إيفيدي ووادي الساورة، وتعرض كابوري لأهمية آبار واد ريغ من الناحية الاقتصادية والسياسية وركز كاركاسون على دراسة عادات وتقاليد الطوارق.[4]

كما قدم هنري دوفيري وثائق ومعلومات هامة عن الطوارق ونشرها في كتابه "التوارق في الشمال" سنة1864[5].

-أوجان دوما: واهتم أوجان دوما بدراسة المظاهر الجغرافية والتاريخية والطرق للمناطق الصحراوية بين بسكرة، وورقلة، وغرداية، والأغواط[6].

-دولوك: درس دولوك مصادر المياه ومظاهرها في الجنوب الوهراني: بايجلي، وجنان الدار، وتاغيت، وبني عباس[7].

ويعود الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائري إلى ما دونه الضابط الفرنسي لابي الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر وضع فيها تضاريس المنطقة، وتعتبر هذه الخريطة أحسن أداة للتوسع الفرنسي في الصحراء[8].

---

[1] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص75.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص74.

[3] عميراوي:السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري،المرجع السابق، ص76.

[4] يحي بوعزيز : اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء....، المقال السابق،ع،72، ص60.

[5] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص76.

[6] يحي بوعزيز: المرجع السابق.

[7] يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء، المقال السابق، ص61.

[8] حميدة عميراوي: من تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص99.

كما استفاد الفرنسيون من الدراسة التي قام بها أفازاك الذي أنجز في سنة1836 دراسة جغرافية عن منطقة الصحراء، ضمنها خريطة هامة[1].

المبحث الثاني المشاريع الفرنسية لاحتلال الجنوب الجزائري:

أ/ مشروع السكة الحديدية :

كانت فرنسا تنظر للصحراء الجزائرية نظرة مخزون اقتصادي وامني واستراتيجي، يؤمن لها مستقبلها في القارة الأفريقية ،ولذلك اهتمت بمشروع مد السكة بين أقاليم الشمال والجنوب [2] ،حيث أرادت فرنسا أن تربط الجزائر الجزائر عبر الصحراء بمستعمراتها في إفريقيا الغربية [3].

ولقد كان اهتمام فرنسا بموضوع المواصلات يهدف إلى :

_ تسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية، للتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة الجزائرية [4].

_ ربط المراكز الاستعمارية ببعضها البعض على مستوى محلي ودولي ومستعمراتها الإفريقية على مستوى قاري .

_ خدمة التجارة الفرنسية والعمل على ازدهارها [5] ،وخاصة قطاع الخدمات وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرية والباطنية ،فإقليم قورارة وتوات غني بالمعادن ،كالفحم الحجري

حسب الدراسة التي قدمها "دفلامون" ،وهضبة تادميت الغنية بمركبات الكبريت حسب ما ذهب إليه "رولان "،بالإضافة إلى العديد من المعادن [6].

-الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء الإفريقية المحملة بالسلع كالعطور والمنسوجات الصحراوية والمعادن الثمينة .

---

[1] حميدة عميراوي: نفسه، السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري،المرجع السابق: ص 99.

[3] -احمد مريوش: التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916 ،مجلة المصادر،تصدر ن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، عدد 11 2005، ص119.

[3] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص101.

[4] حميدة عميراوي :السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية المرجع السابق، ص75 .

[5] حميدة عميراوي:نفسه ص79.

[6] حميدة عميراوي ،نفسه، ص75 .

يعود التخطيط لانجاز مشاريع السكة الحديدية إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر[1]،وذلك ما قام به كاباني الذي اقترح سنة 1853م مد خط حديدي يربط الجزائر العاصمة ببوسعادة مرورا بورقلة وعين صالح حتى يصل إلى مدينة تمنراست ،وتتفرع عن هذا الخط خطوط ثانوية تربط مدينة طرابلس وتمتد حتى مدينة تونس .[2]

إلا أن الظروف الدولية التي عرفتها فرنسا في هده الفترة والمتمثلة في مشاركتها في حروب القرم إلى جانب الدولة العثمانية ،حالت دون تنفيذه [3].

بعد ذلك برز المهندس "ادولف دوبونشيل" ،واهتم منذ عام 1858م بدراسة مشاريع المواصلات الحديدية، الذي كان متأثر إلى حد بعيد بمشاريع السكة الحديدية في الولايات المتحدة الأمريكية وبمشاريع التوسع الانجليزي في قارة إفريقيا فرأى ضرورة ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض بشبكة من الخطوط الحديدية ،كان ابرز مد خط حديدي يمتد من الترانسفال إلى أقصى جنوب القارة الإفريقية ،حيث الرجاء الصالح [4].

توجه دبونشال إلى الجزائر وجمع كل المعلومات الهامة حول الصحراء والسودان ,ونشرها في كتاب سنة 1878م لذلك اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع [5] ،وأوفدت ثلاث بعثات علمية لدراسة المشروع وهي :[6]

-البعثة الاولى ،يتراسها "بويان" ومهمتها رسم السكة بوهران نحو توات ،وتوقفت أشغالها في موغرار في جبال القصور ،واسندت المهمة الى "كاميل سابطي "مهمة جمع المعلومات لبقية المشروع [7].

---

[1] حميدة عميراوي :نفسه، ص 79.

[2] احمد مريوش :المقال السابق، ص 119 .

[3] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية المرجع السابق، ص 79 .

[4] يحي بوعزيز: المرجع السابق،78 .

[5] ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق ،ص438 .

[6] اسماعيل العربي: المرجع السابق ،ص 102

[7] حميدة عميراوي :السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق،80

-البعثة الثانية ،اشرف عليها "شوازي "وكان من أعضاءها المهندس "جورج رولان" الذي قام بدراسة جيولوجية لكل مناطق الصحراء ودرست هذه البعثة الشروط اللازمة لمد خط حديدي من الجزائر إلى السودان، كما اقترحوا خط من الأغواط الى القلعية وتوات وخط من بسكرة الى ورقلة وايغرير والى بلاد الطوارق[1].

-البعثة الثالثة برئاسة الكلونيل فلاترس سنة 1879م[2] وهدفها ربط الجزائر بمنطقة النيجر عبر المسالك الصحراوية والبحث عن السبل للتوسع في افريقيا جنوب الجزائر .[3]

يعود الفضل في هذه المجهودات الى المهندس دبونشال الذي تمكن من إقناع البرلمان الفرنسي على المشروع إنشاء ثلاث خطوط رئيسية لهذا المشروع عام 1880م .[4]

وإذا كان القضاء على بعثة فلاترس قد عطل هذه المشاريع ،فقد ظهرت العديد من مشاريع السكة الحديدية من بينها :

-مشروع المهندس "بويان" الذي يقضي بمد ثلاث خطوط حديدية ،الأول من تيارت إلى المدية والثاني من سعيدة إلى رأس الماء والمشرية والثلث من المشرية الى المقرار والوتيد .[5]

-مشروع دوريان حيث اقترح دوريان خط من وهران إلى توات عبر تلمسان والعريشة وعين بن خليل وعين سفيسفة ،ونخلة إبراهيم [6].

-مشروع الثلاثي "دوفيري"،"بروسلا" "وماج" ،حيث يقضي هذا المشروع بدراسة خاصة لخدمة مشاريع الاتصالات بين الجزائر والسنغال بواسطة القطارات الحديدية [7].

---

[1] حميدة عميراوي:المرجع السابق،ص80.

[2] اسماعيل العربي :المرجع السابق ص102 .

[3] احمد مريوش :المرجع السابق ص116 .

[5] يحي بوعزيز :المرجع السابق، ص78[4]

[6] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري،المرجع السابق، ص82

[6] يحي بوعزيز :المرجع السابق ،ص78

[3] حميدة عميراوي :السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ،المرجع السابق ،ص82.

لقد تواصل الاهتمام بمد الطرق الصحراوية طوال الربع الأول من القرن العشرين ،ومن ضمن الذين انشغلوا بذلك الضابط ،"نو" و"بير فينكيير" والمهندس سولير ،وفوانو والنيجر وهنري لوران وورومنس والمهندس شويش و"ألبير سوزيد" و"كاميل ساباتي" و"ألفريد قينار" و"روبير راينو"[1].

فقد درس هؤلاء الضباط الفرنسيين تكاليف هذه المشارع واثرها على الوجود الفرنسي بالجزائر ولقد ظهرت خلال النصف الأول من القرن العشرين ثلاث خطوط رئيسية وهي [2]:

1/الخط الأول يمتد من مدينة قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت .

2/الخط الثاني يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية .

3/الخط الثالث يمتد من المحمدية الى بني عباس عبر سعيدة وبشار [3].

_الصعوبات والعراقيل:

كان من المفروض أن تمد هذه الخطوط الثلاثة إلى باقي بلدان الصحراء الأخرى في غرب إفريقيا ووسطها ،لتصل بشبكة النيجر عبر تمبكتو ،وشبكة مواصلات السنغال وموريتانيا [4]إلا أن هذا المشروع عرف الكثير من الصعوبات العراقيل التي حالت دون تنفيذه ويمكن حصر هذه الصعوبات في النقاط التالية [5]:

-طبيعة الصحراء الجزائرية الوعرة وقساوة مناخها [6]، حيث انه يمر على اراضي قاحلة [7].

-بهاضة التكاليف المادية [1]،حيث كلفت الخزينة الفرنسية مؤات الملايين من الفرنكات ،وهو ما ولد ردود فعل رافضة لهذه الخسائر.

---

[1]يحي بوعزيز :المرجع السابق ،ص80.

[2]حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري ،المرجع السابق، ص84.

[3]يحي بوعزيز اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر، المقال السابق ، ع72،ص79.

[4]يحي بوعزيز: المرجع السابق ،ص81.

[5]حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص86.

[6]يحي بوعزيز :المرجع السابق، ص80.

[7]ابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق ،ص142.

-الظروف الدولية التي كانت تمر بها فرنسا وهي تلك المنافسة الانجليزية لها في القارة الإفريقية والآسيوية ،وكذلك خسرانها للعديد من المستعمرات في أمريكا الشمالية الشيء الذي جعلها عاجزة عن التوفيق بين طموحاتها التوسعية في المناطق الصعبة مقابل ذلك وجود مقاومة وطنية جزائرية للمشاريع التوسعية الاستعمارية.

-تخوف رجال الأعمال المستثمرين من المغامرة بأموالهم في سبيل إنجاز هذه المشاريع رغم وجود العديد من التحضيرات و الإغواءات وهو ما جعلهم يبحثون عن بديل آخر للاستثمار،

فكانت منطقة الشمال المجال الخصب لتحقيق طموحاتهم[2].

وفي الأخير يمكن القول أن هذه المشاريع بقيت حبرا على ورق إلى اليوم وعوض في الجزائر المستقلة بطريق معبد على طول ألفي كيلومتر، ويطلق عليه اسم طريق الوحدة الإفريقية لربطه مع الدول الإفريقية عبر مال والنيجر.

ب/مشروع البحر الداخلي :

لقد واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة في غزو جنوب الصحراء والجزائر بسبب صلابة مقاومة السكان من جهة ،وقساوة الطبيعة حيث الحرارة والجفاف وعندما نجح "فيرديناندد دوليسبس" في حفر قناة السويس ،تحفزت فرنسا للبحث في مشروع أحداث بحر داخلي صحراوي ،لعله يحدث تغييرا في الظروف الطبيعية القاسية ويسهل عليها عملية التوسع .

وقد تحمس ضابط الأركان العامة "فانسوا رودير" لهذا المشروع ،ووطد صلاته بعدد من المغامرين من بينهم دوليسبس ،وتكونت في فرنسا هيئة خاصة لذلك ،وحددت منطقة أحواض الجريد التونسي كنواة لهذا البحر الداخلي [3].

---

[1] يحي بوعزيز المرجع السابق، ص81.

[2] عميراوي المرجع السابق ص ص:86-87.

[1] يحي بوعزيز :المرجع السابق، ص81 .

وتدعي بعض النظريات الجغرافية والجيولوجية بأن هذه الأحواض كانت تمثل في العصور القديمة، بحرا داخليا واحدا يدعى "بحر أوبحيرة تريتون" ،تحدث عنه الرحالة اليوناني هيرودوت وسيلاكس وله ثلاث منافد الى البحار المجاورة ،واحدا إلى البحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف والثاني إلى المحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة والثالث إلى خليج قابس بشرق تونس عبر شط فجاح ،ثم إن هذا البحر جفت بعض أجزاؤه ،وبقي البعض على شكل أحواض وشطوط وزواغر داخلية أهمها مجموعة أحواض منخفض الجريد ،ومجموعة أحواض منخفض ملغيغ ومجموعة أحواض الهضاب العليا[1] .

وشاعت فكرة لدى بعض الجيولوجيين في القرن الماضي ومطلع القرن الحالي بأنه يمكن خلق بحر داخلي في هذه المنطقة ،أو إحياؤه وبعثه من جديد .

ونواة هذا البحر الداخلي ستكون في البداية أحواض ،شط الجريد وشط الغرسة وشط فجاج التي ستوصل بخليج قابس شرقا عبر شط فجاج الذي يمثل الدرع الشرقي لمنخفض الجريد الكبير، ولا يبعد عن الخليج إلا بحوالي خمسة عشر كلم وذلك بواسطة حفر قناة بحرية إليه .

ثم بعد ذلك يوصل هذا البحر في مرحلته الثانية بأحواض منخفض ملغيغ بوادي ريغ في الغرب وبمنخفض حوض ايغرغر في الجنوب ،عبر وادي سوف .

شرع رودير في وضع الدراسات حول هذا المشروع منذ عام 1873،واعتمدت الجمعية الوطنية الفرنسية في العام الموالي ،مبلغا ماليا لدراسة منطقة الشطوط دراسة علمية ،حيث سافر رودير من قسنطينة إلى بسكرة ثم إلى أحواض ملغيغ ، ودرس تاريخها وجغرافيتها الطبيعية والفلكية ومناخها وتضاريسها ومستواها عن البحر ،وتربتها وسكانها وإمكانياتها الاقتصادية ووضع عددا من الخرائط والأشكال والمقاييس .[2]

وفعل مثله دوليستر ،مهندس المصلحة الطبوغرافية ،ودوفيري مندوب الجمعية الجغرافية لدى بعثة رودير الذي درس مستوى الشطوط عن البحر وهندستها الجغرافية ،وتحدث هوكتافس اشو عن فيضانات الصحراء

---

[2] يحي بوعزيز اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ،المقال السابق ، ع 72،ص72

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص83 .

،وتأثر بمشروع المهندس الانجليزي دونالد ماكينزي الذي بالغ في الموضوع وادعى انه يمكن إغراق الصحراء بمياه المحيط الأطلسي ،عند انجاز هذا البحر [1]،وبالرغم أن رودير اكتشف أن شط الجريد يقع فوق مستوى سطح البحر على عكس احواض ملغيغ ، وشط الحضنة ،إلا انه لم يفقد الأمل في انجاز هذا المشروع ،واعتمد على النتائج الحسنة التي يحققها هذا البحر من مختلف النواحي والمجالات .

فمن الناحية العسكرية والسياسية يسمح هذا المشروع بنقل القنوات الفرنسية بسهولة إلى الجنوب الجزائر وتونس ومنع السكان من الثورة ضد السيطرة الفرنسية.

ومن الناحية الاقتصادية يسمح هذا البحر ،برفع منسوب المياه الجوفية في الشمال وخلق مساحات واسعة خصبة للاستغلال الزراعي بالصحراء ورفع نسبة الرطوبة في الجو بفضل تبخر مياه هذا البحر والزيادة في الأمطار النازلة ، وبالتالي خلق حاجز طبيعي قوي ضد جو الصحراء القاسي[2].

اعد رودير ملفا ضخما وقدمه إلى المجلس العلمي الأكاديمية الفرنسية بباريس ،وحوَّل هذا الملف إلى دوليسبس فاستحسنه وشجعه، ولكن الآراء تضاربت في المجلس العلمي ،وفي البرلمان الفرنسي، ولدى أصحاب رؤرس الأموال ،ولذلك وافق البرلمان الفرنسي على اعتماد مالي جديد عام 1878 للقيام بدراسات جيولوجية جديدة في المنطقة يشترك فيها دوليسبس نفسه،وتألفت لجنة رسمية عامي 1881-1882 لدراسة التعقيدات المالية والمشاكل الاخرى للمشروع ،ترأسها "فريسيني " واكتشف أن التكاليف تزيد على ثلاثة مليارات [3].

سافر "رودير" و"دوليسبس" إلى منطقة قابس عام1883 لدراسة المشروع على الطبيعة ،وعند عودتهما ،برزت معارضة قوية للمشروع من طرف أعضاء الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم وعلى رأسهم، "اوفرست بوميل" الذي يعرف الجزائر وتونس معرفة جيدة ،وأكد عدم وجود أية صلة بين البحر وهذه الشطوط في القديم

---

[2] يحي بوعزيز: ثورات القرن التاسع عشر والعشرين ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين ،دار البصائر ،الجزائر ج 1 ،341

[1] يحي بوعزيز :اهتماما ت الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء، المقال السابق ، ص76 .

[3] يحي بوعزيز: ثورات القرن التاسع عشر المرجع السابق،ج1، 342

،وكوسون الذي يعرف الجزائر وتونس جيدا والدكتور "روير" الذي قام برحلة دراسية إلى المنطقة محاولا التعرف على الجذور التاريخية لبحر تريتون .[1]

كما اهتمت وزارة الخارجية الفرنسية بالموضوع فالفت لجنة خاصة لدراسة رودير الذي قام لها، وطرحته"الجمعية الفرنسية لتقدم العلام «للنقاش في دورتها الثالثة عشرة خلال مؤتمر بلود وقدم "كوسون" دراسة عن الكشف العلمي الذي قامت به البعثة في تونس من الناحية الصحية ،وقدم الدكتور روير والمهندس "جورج اولان "و"لوتورنو" خريطتين عن مشروع المواصلات لهذا البحر الداخلي .

وبعد وفاة رودير عام1883 تحمس دوليسبس لإنجاح المشروع البحر الداخلي وحاول إقناع جول فيري لرؤيس الوزراء الفرنسي برأيه ولكنه لم يفلح في ذلك لان جول فيري لا يمكنه معارضة رأي "الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم" ومع ذلك قرر دوليسبس أن يرسل "لاندا" إلى قابس للقيام بتحقيق جديد وفي نفس الوقت عين روير عضو جديد في "الجمعية الفرنسية" ،وأعلن دوليسبس للمقاولين الفرنسيين بأنه سوف يملئ جنوب الجزائر وتونس بالمياه وانه سوف يعلن في شهر جوان عن نداءلجمع ثلاثمائة فرنك مليون للبدء في انجاز مشروع وانه سيحفر قناة قابس وقناة باناما كما حفر قناة السويس [2].

بقي أمر البحر الداخلي يشغل الرأي العام حتى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر عام1886 م ليعود للنقاش مرة أخرى من طرف عدة هيئات علمية ورأسمالية وكانت معظم النظريات معارضة بسبب التكاليف الباهظة، والصعوبات التقنية ووجود شط الجريد فوق مستوى سطح البحر.[3]

المبحث الثالث: المبشرون ودورهم التوسعي في الجنوب الجزائري:

أ/ مفهوم التبشير:

---

[1] يحي بوعزيز :مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،المرجع السابق ،ص84

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية،المرجع السابق، ص 85.

[3] يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر، المقال السابق،ع72 ،ص77.يراجع:

-Paul Théodore: le trans-saharien: chemin de fer d'Alger au soudan à travers saharta , bibliothèque national de France ,pari ,1879.

1) المفهوم اللغوي:

التبشير هو إخبار فيه سرور ولا يكون إلا بالخير، وإن كان بشر فيكون مقيدا.[1]

2) المفهوم الاصطلاحي:

عند المسلمين تعني كلمة التبشير تبليغ تعاليم النصرانية على ما هي عليه للمسلمين وغير المسلمين باختلافاتها وتحريفاتها، وعند النصارى اتخذت الكلمة معاني عديدة حسب العصور وحسب أهداف الكنيسة، فهم يعتقدون أن عيسى ابن مريم –عليه السلام– قد مات فداء للبشرية من الخطيئة[2].

والتبشير هو مؤسسة تنصيرية تعتمد على منهجية متكاملة ذات شعب متعددة اجتماعية وسياسية واقتصادية تهدف لنشر العقيدة المسيحية في البلدان الإسلامية وغيرها، أو تغريب الإنسان المسلم بتشكيكه في عقيدته الإسلامية.[3]

صار التبشير عملية ثقافية واسعة، ارتبطت ارتباطا وثيقا بالاحتلال الأوروبي، وكان عاملا مساعدا على التوسع في كثير من البلدان، وقد استهدف إخراج المسلم من المفاهيم والقيم الإسلامية وصهره على المفاهيم العلمانية والمادية والوثنية وفتح الطريق لفكره ليتقبل ما تطرحه الليبرالية والماركسية.[4] وتعد حركة التبشير من أخطر الحركات التي واجهها العالم الإسلامي في تاريخه الحديث والمعاصر، وازداد خطرها عندما ارتبطت في القرن التاسع عشر بالنظم الاستعمارية التي فرضت على كثير من البلدان الإسلامية.[5]

---

[1] مجموعة من المؤلفين : المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، ط3، ج1، 1956، ض58.

[2] محمد عثمان صالح: النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ط1، 1989، ص42.

[3] عبد الفتاح اسماعيل غراب: العمل التنصيري في العالم العربي، مكتبة البدر، د م ط، 2007.

[4] حميدة عميراوي وآخرون : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص101.

[5] الحبيب الجنحاني: حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن19، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع16، 1973، ص23.

ب/الكاردينال[1] لافيجري.

مع مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر، كثفت فرنسا من إرسال البعثات التبشيرية إلى الصحراء حيث بدأت أولى الاتصالات بين فرنسا والتوارق من خلال البعثات التي كان ظاهرها خدمة المعرفة العلمية وباطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشرية والعسكرية.[2]

عندما أصبح لافيجري أسقفا للجزائر قرر غزو الإنسان الجزائري[3]، حيث دخل مدينة الجزائر يوم الأربعاء 15ماي1867 وصرح قائلا: "الجزائر هي أول مدينة في القارة الإفريقية ليست من حيث عدد سكانها ولكن من حيث دورها التاريخي باحتضانها للحضارة المسيحية".[4] كان هدف لافجري هو تنصير أكبر عدد من الجزائريين إذ قال:"علينا أن نجعل من الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الإنجيل تلك رسالتنا"[5].

لقد رغب لافيجري بشدة في توسيع نشاطه في صحراء الجزائر بع أن ثبت نفوذه في الشمال من خلال القرى المسيحية بسهول الشلف، فكانت البداية بإرسال ثلاثة أخوات بيض إلى الأغواط ولعدم تأقلمهن مع قساوة المناخ طلب منهن العودة، وأرسل بعد ذلك اثنان من القساوسة اليسوعيين هما: "روشي" و"أوليفي" وحدد أهداف هذه المهمة في:

-ضمان الممارسة الدينية المسيحية لدى المستوطنين بالمنطقة.

-الارشاد الديني في أواسط فيالق الجيش الفرنسي "جيش إفريقيا".

أطلق المعمرون الفرنسيون عليه الأميرال كردينال لانتصاره وتشجيعه كتلكة الشب الجزائري،انظر:عبد الجليل التميمي:التفكير الديني والتبشيري

[1] لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزئر في ق19م،المجلة التاريخية المغربية، ع1،تونس،1974.

[2] الغالي غربي : ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة الرؤية، ع1، جانفي، فيفري1996، ص110.

[3] عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأئمة، الجزائر2010، ص71.

[4] -Louis D'ANNAM : le grand aporte de l'Afrique au 19siécle, le cardinal Lavigerie, liberrie , général catholique, Lyon, 1899, p54.

[5] عمار عمورة:الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التاريخ إلى 1962"الجزائر خاصة"،ج2،دار المعرفة،الجزائر،2006،ص319.

-التحضير لانتصاب مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى.[1]

اختلفت فرقة الآباء البيض عن الفرق الموجودة آنذاك في الجزائر، ذلك أن لافيجري أدرك أن اللباس الديني المسيحي لرجال الدين قد يخلق تنافر بينهم وبين السكان، لذلك أشار على أعضاء فرقته أن يتقربوا من الأهالي باتخاذ عاداتهم وطرق معيشتهم ولباسهم ولغتهم ليكون احتكاكهم بالأهالي شديدا ومفيدا[2].

و في سنة1872 توجه الأسقف "شارموتان" من مدينة الأغواط متجها نحو واد ميزاب وقد دامت رحلته شهرا كاملا، دون خلالها ملاحظاته حول سكان المنطقة.[3]

وفي 31ديسمبر1875 بعث لافيجري ثلاثة مبشرين وهم الآباء:

-ألفريد بولمي من أسقفية باريس.

-فيليب ميموري من أسقفية نانت.

-بيار بوشان من أسقفية ليون[4].

وقد رافق هؤلاء الآباء خمسة من الطوارق كمرشدين وانطلقوا من متليلي نحو بلاد الطوارق من أجل الوصول إلى تمبكتو، وحذرهم زعيم الشعانبة من التوغل في دواخل الصحراء، إلا أن الروح التنصيرية التي كانت طاغية عليهم كانت تدفعهم لنشر المسيحية مهما كانت الصعوبات، وقد لقي الآباء الثلاثة حتفهم حيث قتلهم نفس الطوارق الذين كلفهم الكاردينال لافيجري بمرافقتهم.[5]

أصبحت غدامس مقرا للبعثة التبشيرية التي يرأسها الأب ريشارد[6]،وفي سنة1879 قام ريشارد[1] مع زميله "كيرمابون" بجولة استكشافية ضمن بعثات الآباء البيض للتعرف على أسرار بلاد الهقار بمساعدة خبراء في

---

[1]مزيان سعيدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892، د د ن، الجزائر، ط1، د ت، ص338.

[2]خديجة بقطاش : الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، د د ن، الجزائر، د ت، ص129.

[3]BAUNAND : le cardinal Lavigerie, Poussielgue, Paris, T2, 1896, p391.

[4]مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص343.

[5] مزيان سعيدي ،نفسه، ص ص:344-345.

[6]مزيان سعيدي نفسه، ص ص:344-345.

الصحراء من طوارق إفوغاس فانطلقت من غدامس إلى وادي تيكاملت شمال غرب غات، واستغرقت 56يوما، جمعت فيها هذه البعثة معلومات جغرافية هامة[2]، وقد اعتبر الأب ريشارد ذلك فتحا مبينا.[3]

ولكن مذبحة الكولونيل فلاترس التي وقعت بعد عودة الأب ريشارد من بلاد الطوارق، ستضع حدا لنشاط حركة التبشير في هذا الاتجاه لفترة مؤقتة، فإن النصر الحاسم الذي سجله الطوارق في تلك العملية شجعهم على منع الغزاة الأجانب من الاقتراب من أراضيهم مهما كان القناع الذي يرتدونه، وأصبح اسم الطوارق والهقار يثير الخوف في نفوس الفرنسيين.[4]

وجراء هذه الحالة، ترك الكاردينال لافيجري الوقت حتى تستقر الأوضاع وتهدأ النفوس في جنوب الصحراء، ولكن حماس الآباء البيض تغلب على تعقل رئيسهم لافيجري.

فطلب الأب ريشارد –الذي يزال تحت تأثير نجاح رحلته الأولى– من الكاردينال أن يسمح له بالذهاب إلى بلاد الطوارق الذين وضع فيهم ثقته، وهكذا أذن له بالسفر برفقة اثنين من الآباء وهما: الأب مورا (MORA) والأب بوبلار (POUPLARD) وانطلق الثلاثة ابتداء من الفاتح من ديسمبر في كمين نصبه لهم الطوارق في مكان غير بعيد من غدامس.[5]

قتل الآباء البيض الثلاثة وأشعلت النار في ثيابهم التي كانوا يرتدونها وكان من نتائج ذلك أن هاجر الآباء مراكز غدامس وطرابلس وهكذا سقط في الصحراء في ظرف خمس سنوات ستة من القساوسة[6].

رغم هذه العراقيل والمساعي الخائبة فإن المبشرين ظلوا متحمسين لمواصلة نشاطهم التبشيري وسط الزحف العسكري للجيش الفرنسي، فحيثما حل الجيش إلا وكان للمبشرين الآباء مركزا دينيا مسيحيا بالمنطقة.

---

[1] اسماعيل العربي : المرجع السابق، ص111.

[2] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص422.

[3] الغالي غربي: المرجع السابق، ص111.

[4] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص111.

[5] مزيان سعيدي : المرجع السابق، ص348.

[6] اسماعيل العربي : المرجع السابق، ص112.

وقد ارتكز العمل الكنيسي في غرداية[1] حيث نشأت مدرسة الطرز يشرف عليها الآباء البيض ومدرسة للنسيج تشرف عليها الأخوات البيض.

أما في مدينة ورقلة فقد أنشأت الأخوات البيض مشاريع لجلب النساء والتغلغل في المجتمع الصحراوي، وكانت لهن ورشة لنسج الزرابي من الصوف والوبر[2]،أما الآباء فعملوا على فتح ورشة لصناعة الاسمنت والخزف[3].

لم يهمل الآباء والأخوات البيض العمل الزراعي، لذلك أسسوا ملجأ للأيتام بالقليعة خاص بالفلاحة الصحراوية (الواحات) وحفرت بئر ارتوازية كما كان الآباء أول من أدخل ناعورة بمحرك إلى الصحراء الجزائرية وبالتحديد إلى غرداية[4].

هذه المراكز كان لها شأن عظيم في دفع الحركة التبشيرية بالصحراء الجزائرية وخاصة بعد موت الكاردينال لافيجري، لكن الفضل يعود إليه في تأسيسها فهو الذي بذر بذور التبشير بالصحراء الجزائرية والتي أينعت بعد موته ولو بصفة نسبية.[5]

ج/ شارل دوفوكو:

عاش حياة شبيهة في جزء منها بحياة لافيجري وخاصة الإخلاص للكنيسة وعلاقته بالشرق وبالإسلام، ولكنه كان يختلف عنه في المغامرة وتعلم اللغات والجمع بين الخدمة العسكرية والدينية.[6]

يعتبر شارل دوفوكو أكبر مستكشف ديني للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة، وتكمن خطورة دوفوكو في أنه عقلية علمية من الدرجة الأولى[1]، بدأ دوفوكو حياته الاستكشافية برحلة إلى المغرب الأقصى وخلال هذه

2تتكون غرداية من

عشر بوابات ،نذكر منها :باب أولاد نايل –باب الجديد–باب الحوش–باب سالم أوعيسى...،منازلها مبنية على نظام هندسي وتتميز بصبغتها البيضاء التي أساسها مادة الجير،وهي محاطة بأسوار.أنظر:

M,le lieutenant-colonel daumas :le sahara algérien études géographiques, statiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie, bibliothèque nationale de française ,pari, 1845,p59.

[2]سعيدي مزيان : المرجع السابق، ص348.

[3]أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي1830_1654،دار البصائر ،ج6، 2006 ،ص130.

[4]سعيدي مزيان: المرجع السابق، ص349.

[5]مزيان سعيدي:نفسه، ص350.

[6]أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص133.

الفترة استطاع أن يجمع معلومات كافية جعلت من رحلته دليلا قيما ومرجعية أساسية أفاد بها قواد الجيش الفرنسي.[2]

كما قام دوفوكو برحلة إلى الصحراء الجزائرية تحت غطاء الاستكشاف فزار الأغواط وغرداية وواحات ميزاب والمنيعة وتقرت والناصرة ليعود إلى الجزائر[3].

لخص دوفوكو مهمته في أمرين أساسيين:

أولا: العمل على نشر النفوذ الفرنسي في الهقار.

ثانيا: إدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم ورأى أن يكون العملان متكاملان ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر.

كما اهتم دوفوكو بمشروع السكة الحديدية التي بدأ الخبراء في دراسة بنائها عبر الصحراء وكان يرى أن هناك صلة بين تحقيق هذا المشروع وتدعيم التبشير، فقال: "إن السكة الحديدية وسيلة عظيمة لنشر الحضارة والحضارة عامل قوي للتطوير ولا يمكن أن ينتصر الهمج"[4].

كان شارل دوفوكو يهتدي بمعالم الاستكشاف التي وضعها سلفه دوفيري الذي كان على اتصال دائم به، وقد كان دوفيري هو الذي وضع التقرير الذي منحت الجمعية الجغرافية على أساسه شارل دوفوكو ميدالية ذهبية[5].

نزل دوفوكو بالجزائر العاصمة عند الآباء البيض ثم اتجه إلى وهران وإلى عين الصفراء، ثم أكمل طريقه برفقة مجموعة من الجنود الفرنسيين إلى بني عباس في 28أكتوبر1901.

استقر دوفوكو في بني عباس لعدم وجود رجل دين مسيحي كما أقام ديرا للعبادة، باشر دوفوكو مهامه التبشيرية في بني عباس، وتجلت هذه المهام في تقديم الخدمات الطبية للسكان وتعليمهم.[6]

---

[1] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص118.

[2] أحمد مريوش: المقال السابق، ص133.

[3] سعد الله: المرجع السابق، ص134.

[4] أبو عمران الشيخ:شارل دوفوكو في تمنراست 1905-1916، المقال السابق،ص247.

[5] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص113.

[6] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص120-121.

وفي سنة 1905 أقنعه صديقه "لابرين" بمرافقته في رحلة استطلاعية إلى قبائل الطوارق والمناطق المجاورة للهقار التي كان الفرنسيون قد دخلوا إليها منذ نحو عامين فقط، كانت هذه الرحلة التي اشترك فيها القسيس المبشر ذات طابع سياسي وإداري بحث، ولكنه مع ذلك سيستفيد مما توفر له من فرص الاتصال بالسكان، كما يستغلها لتسجيل ملاحظات علمية عن الصحراء[1].

وأخذ يتعلم اللهجة التارقية وأصدر معجما عنها، وكان يتجول في الصحراء مستكشفا وليس كرجل دين، وكما كان دوفوكو معروفا للسفارات والقنصليات الفرنسية في المشرق والمغرب الأقصى كان أيضا معروفا للمكاتب العربية والمراكز العسكرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية[2].

لم يجد دوفوكو صعوبات أثناء التعامل مع الطوارق، عكس ما اصطدم به القادة العسكريون ولعل من بين العوامل التي سهلت مهمة هذا المبشر الخطير هو تكوينه العسكري الذي أهله للعمل في قضايا الاستخبارات العسكرية أولا ثم نشأته التبشيرية ثانيا[3].

أما طريقة دوفوكو في التبشير بالدين المسيحي بين المسلمين في بلاد الطوارق بسيطة إلى حد السذاجة، ولكنها دائما متزجة بالأمل العميق والتفكير في مصير المسيحية في هذه البلاد بمصير الاستعمار[4].

وقد كتب دوفوكو حول طريقة عمله في التبشير إذ يقول: "كنت أحاول أثناء جولاتي دائما أن أقترب من المخيمات السكانية وأن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار، وذلك بأن أقدم لهم السكر، ولكنني لم أسجل نجاحا، فقد كان مرآي عندهم أشبه بمرأى للشيطان نفسه.... لكن يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل إلى نفوس الآباء ونهدئ من روعهم، إنها فرصة لتقريب المترددين منا وفرصة للدخول في اتصال مع المتطرفين الذين يبغضوننا".ومما لاشك فيه أن دوفوكو قد وجد صعوبة كبيرة في استقطاب الطوارق إلى دائرته التبشيرية[5].

لم يكن دوفوكو مقيما دائما في تمنراست بل كان كثير التنقل بين المناطق الصحراوية المختلفة وقد صافت عودته من تجواله عبر تلك المناطق سنة1907 مجاعة حلت بتمنراست فاستغل الوضع لكسب ود السكان، فكان يوزع بنفسه القمح والشعير على النساء والأطفال.

---

[1] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص113.

[2] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص134.

[3] أحمد مريوش : المقال السابق، ص134.

[4] اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص114.

[5] أحمد مريوش: المقال السابق، ص134-135.

أصبح دوفوكو يحظى بحب الناس واحترامهم له ببساطتهم وسذاجتهم[1] وكان دوفوكو يراهن في عمله على الناشئة، بحيث أنه يجعل منها الذرع الواقي والمدافع عن المصلحة الفرنسية، وذلك بعدما يلقنها الديانة المسيحية والتربية وفق المنظومة الاستعمارية، أي بمعنى يكون جيلا جديدا[2].

ولقد بين دوفوكو أهدافه من تواجده في الصحراء الجزائرية، حيث كتب في 11ديسمبر1912 لصديقه فيتز جيمس أن هدفه: "هو تحضير الأهالي فالبربر ينصاعون بسهولة عكس العرب الذين

نحتاج معهم مجهودات كبيرة حتى نحقق هدفنا والهدف الثاني هو تنصير المستعمرات الفرنسية"[3]وقد أشار شارل دوفوكو أثناء إقامته بتمنراست"الأمر الأول هو إقامة النضام الفرنسي والحضارة في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقي...والأمر الثاني هو التبشير "ولم تميز أوربا في ذلك العصر بين الاستعمار والتنصير[4].

وبعد الحرب العالمية الأولى بقي دوفوكو في تمنراست لمواصلة مهامه التبشيرية الاستعمارية وكانت السنوسية في هذه الفترة ذات نفوذ واسع على الحدود الليبية-الجزائرية بمناصرة بعض القبائل التارقية مثل أزجير[5]، فكان هجوم السنوسية عام1919 قويا ضد القوات الفرنسية المتمركزة في جانت وانتهت الهجمات بقتل دوفوكو في1ديسمبر1916، ودفن هناك.[6] كان الراهب دوفوكو شخصية استعمارية مزدوجة الأدوار غريبة الأطوار، فبعد حياة حافلة بالمجون والعربدة والتقلب في شتى الوظائف بما في ذلك العسكرية اختار الاستقرار في منطقة الهقار.[7]

ومما يمكن قوله أن التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية لم يكن وليد الصدفة ،بل كان تخطيطا مبرمجا منذ زمن بعيد وذلك أن عملية التوسع بدأت بإرسال المستكشفين إلى الصحراء أمثال "روني كايي" و"هنري بارث" "دوفيري" و"رولف" و"فلاترس" وغيرهم وقد تقمصوا شخصيات متعددة وهم عبارة عن شبكة من العيون

---

[1] أحمد مريوش :نفسه، ص135.

[2]حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص124.

[3]أحمد مريوش : المقال السابق، ص136.

[4]محمد الأمين بلغيث:سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي،المصادر تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954ع3، 2000 ،ص134

[5]حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص126.

[6] حميدة عميراوي :نفسه، ص126.

[7]عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص109.

والجواسيس في أشكال رجال دين وأطباء ومتسولين وضباط متنكرين وقد تعرض الكثير منهم إلى الهلاك بعد أن كشف سكان المنطقة أمرهم، وقد قدم هؤلاء المستكشفون تقارير ومذكرات عن الصحراء حثوا فيها فرنسا على احتلال هذه الأراضي الغنية بالثروات المعدنية لذلك عزمت فرنسا على احتلال الجنوب الجزائري الصحراوي.وقامت بشق الطرق ومد السكة الحديدية،لتسهل عليها عملية التوسع ،وادعت خلق بحر داخلي.

المبحث الأول: التوسع الفرنسي في شمال الصحراء الجزائرية:

بعد عمليات التجسس والدراسة جاءت مرحلة التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية فبدأت باحتلال المناطق الاستراتيجية والمداخل الأولى للصحراء.

أ/ الاحتلال الفرنسي لمنطقة الأغواط:

1- حملة ماري مونج الاستطلاعية على منطقة الأغواط سنة1844م:

بدأت هذه المرحلة بجولة الجنرال "ماري مونج" (Mary Monge) قائد الشعبة العسكرية للمدية في شهر مارس1844م، مع طابور قوي من ألف وخمسمائة (1500) جندي إلى ناحية الأغواط.[1]

[1] هاجمها الفرنسيون سنة1844 واستولوا عليها، ولكن لم تطل إقامتهم فيها فقد طردهم الأمير منها بسرعة، أنظر: عبدالله الركيبي: الجزائر في عيون الرحلة الانجليز، دار الحكمة، ج1، 1999، ص154.

وعند وصول هذه القوة طلب ابن سالم حماية الفرنسيين وصار مواليا لهم[1]، حيث قام بإرسال أخيه إلى القائد الفرنسي للتودد إليه وطلب منه أن يمنحه لقب الخليفة على الأغواط بقصورها الخمس (العسافية، قصر الحيران، الحويطة، تاجموت، عين ماضي) فضلا عن الحرازلة والأرباع وبني ميزاب، فأرسل الجنرال "ماري مونج" إلى الماريشال "بوجو" هذا الطلب، فكاتب بوجو بدوره وزير الحرب بفرنسا الماريشال "سولت" حيث ذكره بفوائد الصحراء السياسية والاقتصادية والإستراتيجية.[2]

وافق الحاكم العام الفرنسي على الإجراءات المتخذة في هذا الشأن وأمر بتحضير بعثة استكشافية إلى الأغواط، وأوكلت قيادتها إلى الجنرال "ماري مونج"، فانطلق في أواخر فيفري ووصل بلدة طاقين في14مارس حيث مكث مدة يومين لتنظيم قواته والتي كانت تتشكل من1500جندي منهم 400فارس من عدة قبائل و140قناصة إفريقيا و140جمل والتي استعملت لأول مرة لأغراض حربية.[3]

وصلت هذه الحملة إلى تاجموت، وقد استقبلها أعيان الأغواط وعلى رأسهم أحمد بن سالم، لكن الشيخ التجاني لم يحضر اللقاء لأنه كما يقول من عادته أن لا يقابل الحكام لذلك بعث الجنرال مونج وفدا يرأسه العقيد "سانت آرنو" إلى أعيان عين ماضي على اعتبار أن الشيخ التجاني له شعبية كبيرة لدى سكان المنطقة ويجب معاملته معاملة خاصة كي يخضع نهائيا للسلطة الفرنسية.[4]

وبعدما اقتنع الشيخ التجاني بحجج الوفد تحركت الحملة يوم 23ماي وطافت بعدة مناطق محيطة بالأغواط منها قصر الحويطة في الجنوب الغربي يوم24ماي ثم الأغواط نفسها يوم26ماي ويوم 27-28 بقصر الحيران، وكان أحمد بن سالم هو دليل هذه الحملة والتي كانت عبارة عن مسح عام واستكشاف للمنطقة، وبعدها اعترف الجنرال "مونج" بتعيين أحمد بن سالم خليفة على الأغواط[5] وبالتالي فإن هذا الاعتراف يساعد الفرنسيين حسب تقرير الجنرال "مونج" على:

- إخضاع كل سكان الجنوب والغرب وحتى الثائرين منهم.

---

[1] هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا ، تر: أبو العيد دودو، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص210.

[2] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص101.

[3] -Arnoud Saint ; siège mdi par el hadj Abdelkader ben Mahieddine, R A, N8, 1864, p369.

[4] -I bid ; p370.

[3] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص103.

[4] إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص124،125

- إرهاب سكان الجنوب والغرب الموالين للأمير عبد القادر.
- جذب كل التجارة الداخلية لهذه المناطق إلى الجزائر العاصمة، بدلا من توجهها إلى تونس والمغرب الأقصى.[1]

وفي الأخير يؤكد الجنرال في تقريره على تنظيم الأغواط حتى يمكن جني ثلاث فوائد هامة:

- جعل الأغواط مركزا إداريا وسياسيا وتجاريا.
- قطع كل الاتصالات بين الشرق والغرب، وإخضاع أي تحرك في هذه المضارب للمراقبة.
- وضع المنطقة الأكثر تمردا في الجزائر مع أولاد سيدي الشيخ بين أيدي خليفة قوي مدعما بشعبة وهران.[2]

لكن الحرب الفرنسية-المغربية المتمثلة في معركة إسلي سنة 1844م عطلت هذا المشروع.

2- سياسة فرنسا في خلق النزاع:

استطاع الأمير من خلال عام 1846م أن يكسب تأييد أولاد نايل بجنوب المدية عن طريق السي الشريف بن الأحرش، مما جعل أحمد بن سالم معزولا في منطقة الأغواط ورغم ذلك بقي مخلصا لسلطة الاحتلال الفرنسي التي استطاعت أن تخلق نوعا من التنافس والتناحر بين بعض الزعماء والقادة، وقد لعب كل من "الجنرال يوسف"[3] و"الجنرال ماري " الدور البارز في إذكاء سياسة فرق تسد، وأهم انشقاق وقع في هذه الفترة حصل بين أحمد بن سالم وصهره ابن ناصر بن شهرة قائد الأرباع، وقد أدى كل ذلك إلى اضطرابات خطيرة بالجنوب وأحداث جسيمة بجنوب إقليم المدية، دفعت ابن ناصر بن شهرة إلى الانطواء تحت قيادة المجاهد الشريف محمد عبد الله، لكنه عندما خيم مع أهله الأرباع بالشهبونية قرب بوغار نصب كمينا لقوات الملازم "كروس"(

---

[2] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص104.

[3] اسمه يوسف جوزيف فنتيني (Yusuf Joseph Ventini)،يقال أنه لقيط ويحتمل أنه ولد بجزيرة ألب(Elebe) بتوسكانا حوالي 1809م.وقع في قبضة القراصنة الذين باعوه في تونس،حيث أصبح مملوك الباي ،لكنه غدر به وفر سنة 1830م إلى الجزائر.أنظر:إبراهيم مياسي:الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية،المرجع السابق،ص139.

Carrus) مع ثلاثين صبايحي من المدية يوم3سبتمبر 1851م حيث جردهم من أسلحتهم وخيولهم وملابسهم ماعدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم.[1]

رجع ابن ناصر إلى الأغواط واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها فاتصل به السكان من كل جهة خاصة أعيان المدينة للتعاون معه، كما التف حوله الحرازلية، أولاد سيدي عطاء الله وأولاد سعيد عتبة والمخادمة من ورقلة وعزموا على الثورة للتخلص من نفوذ الاحتلال الفرنسي.[2]

على إثر هذه المخاوف أمر الوالي العام للجزائر الجنرال "راندون "يوم7فيفري الجنرال "لادميرول "بتشكيل طابور متنقل فاستدعى هذا الأخير كلا من قوم التيطري والتل، وشكل منهم قوة تتألف من ألف وخمسمائة (1500) فارس، وانضموا إلى قوم أولاد نايل تحت قيادة بن شريف بن الأحرش.[3]

وفي22فيفري تحرك الطابور المتكون من عدة سرايا وفرق عسكرية، واتبع الجنرال "مونج "سنة1844م لأنه قدم للمصالح الاستعمارية عدة معلومات ضرورية في عملية الاحتلال[4]، وصلت القوة الفرنسية إلى أسوار الأغواط يوم 04 مارس، وبعد أن تجولت في المنطقة عادت من حيث أتت، لأن الحملة كانت عبارة عن جس نبض قوة المقاومة، ونتيجة لتدهور مكانة فرنسا في المنطقة بذيوع وبروز نجم الشريف محمد بن عبد الله[5] قررت فرنسا نهائيا احتلال الأغواط، ففي 3ديسمبر1852م حوصرت المدينة بالجيوش الفرنسية الثلاث التي قدمت من غرب البلاد تحت قيادة الجنرال "يوسف" وجيش آخر من بوسعادة بقيادة الرائد "بان" Pein وبدأت المعركة بين الطرفين، وقتل عدد كبير من الفرنسيين منهم ضباط كبار في الجيش الفرنسي على يد المقاومة التي ظلت تدافع بشجاعة فائقة رغم الاختلاف في العدة والعدد[6]، واعترف الفرنسيون بشراسة المقاومة وقوتها التي انتقلت إلى شوارع المدينة، وذهب ضحية هذه المواجهة ضد الفرنسيين 250شهيد من أهل البلدة من مجموع1600ساكن أي

---

[1] محمود علالي: الحركة الإصلاحية في الأغواط1916-1958، وزارة الثقافة، 2008، ص47.

[2] إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص129.

[3] إبراهيم مياسي :نفسه، ص131.

[4] محمود علالي : المرجع السابق، ص48.

[5] يحي بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين 19و20، المرجع السابق، ص129.

[6] محمود علالي: المرجع السابق، ص48.

أكثر من ثلثي السكان بالإضافة إلى العدد غير المحدود من الجرحى، ودامت الهمجية الاستعمارية تعيث قتلا وفسادا في المدينة أكثر من أربعة أيام بعد سقوط الأغواط يوم4ديسمبر1852م.[1]

كان سقوط الأغواط بمثابة انتصار لفرنسا وقد اعتبرته خطوة هامة للتوسع في عمق الصحراء الجزائرية وإخضاعها.[2]

ب/الاحتلال الفرنسي لمدينة غرداية:

1- معاهدة الحماية:

بعد السيطرة الفرنسية على منطقة الأغواط في1852م، بدأت معهدها بالاهتمام بمنطقة ميزاب، مستغلة في ذلك النزاع القائم على السلطة، وانقسام بني ميزاب إلى صفين، الصف الشرقي والصف الغربي.[3]

لهذا سارعت جماعة بني ميزاب [4]من بريان بإرسال رسالة خطية للجنرال "بيليسيه" مؤرخة ب12ديسمبر1852م تطالب فيها بالأمان ورد عليهم الجنرال برسالة مرسلة من الأركان العامة بالأغواط بتاريخ 14 ديسمبر خاطب فيها سكان مدن غرداية المتكونة من: مليكة، بني يزقن، العطف، بونورة، بريان والقرارة، ذكرهم أن التعارف بين الطرفين قديم منذ اثني وعشرون سنة خلت، وطلب منهم أن يطردوا من صفوفهم كل أعداء فرنسا، وأن يرسلوا قادة الجماعة إلى سي حمزة لتقدم له خضوعهم وولاءهم باعتباره وكيل السلطة الفرنسية عند بني ميزاب.[5]

ولم يكتف الجنرال بيليسيه بمد نفوذه إلى غرداية بل أشار في تقاريره بضرورة احتلالها لكونها من أهم المراكز المتقدمة ضمن نفوذ السلطة الفرنسية في الجنوب.[6]

---

[1] إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص131.

[2] الأحداث العسكرية الكبرى أثناء الثورة التحريرية بولاية الأغواط 1954-1962، وزارة المجاهدين.

[3] -Jean Melia ; Ghardaïa qautiéme mille, Paris, sans édition, sans date, le fonds de la bibliothèque centre de documentations sahariennes, p58.

[4] الميزابيون أوبني ميزاب يسكنون منطقة ميزاب،التي تمتد إلى الصحراء وتكون في بعض الأجزاء جزء فيها،ويشتغلون بالتجارة،أنظر:سيمون بفايفر:مذكرات جزائرية عشية الاحتلال ،تر:أبو العيد دودو،دار هومة،الجزائر،2009،ص125.

[5] -إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص125.

[6] أبراهيم مياسي:الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص125.

ولتوقيع المعاهدة انطلق وفد بني ميزاب مفوضي من مجلس عمي سعيد الأعلى، وقد وقعت هذه المعاهدة – معاهدة الحماية- مع الكومندا ندوبراي–حاكم الأغواط- يوم 22ديسمبر1853[1]، وتضمنت المعاهدة مايلي:

-الاعتراف بالسلطة الفرنسية.

- ضمان حماية فرنسا لتنقلات قواتهم التجارية.

- عدم تدخل فرنسا في شؤونهم الداخلية في المجتمع المدني.

- ضمان احترامهم لدفع مبلغ الضريبة للبايلك.

- ضمان الأمن والاستقرار الدائم والعام والحقوق للمواطنين.

- ضمان مراقبة فرنسا على السلع الأجنبية القادمة من الخارج.

- غلق الأسواق أمام القبائل المعادية لفرنسا[2].

وبمقتضى هذه المعاهدة صارت ميزاب جزءا معترفا تابعا للدولة الفرنسية وذلك بضريبة سنوية مقدارها 45000فرنك تتقاسمها القصور الميزابية السبع[3].

وظلت اتفاقيتها مع بني ميزاب تعيق تحركاتها العسكرية المشبوهة، وعندما أدركت بعدم جدواها معهم قامت بالزحف على بني ميزاب سنة1882م، وهو ما فتح الباب لمواجهات دامية بين الميزابيين والفرنسيين، وتمكنت القوات الفرنسية من اقتحام المنيعة وتأسيس مركز عسكري دائم بها سنة1891م[4].

ج/ الاحتلال الفرنسي لمنطقة تقرت:[1]

---

[1]يوسف بن بكير الحاج السعيد: تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص98.

[2]A. COYNE ; le mzab, nadi el moudjahid, Ghardaïa, p205.

[3]محمد عبد الحليم بيشي: تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة، الجزائر، 2013، ص52.

[4]عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص:47 -48.

إن الحملة الفرنسية على منطقة تقرت وما جاورها لم تكن وليدة الصدفة وإنما كانت ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي الهادف إلى احتلال الصحراء[2]، لاسيما أن هذه المنطقة كانت تحتل مكانة هامة وذات نفوذ كبير عبر التاريخ[3].

كما أن الاحتلال الفرنسي عوض أن يحتل عاصمة واد ريغ –تقرت- لجأ إلى تحطيم الأغواط سنة1852 واحتلال ورقلة في نهاية 1853 وعقد معاهدة مع سكان واد ميزاب في نفس السنة، وبهذا أصبحت منطقة تقرت وضواحيها محاطة بالقوات الفرنسية.[4]

1- مراحل احتلال منطقة تقرت:

-المرحلة الأولى:

تبدأ هذه المرحلة منذ استيلاء سلمان بن علي الجلابي على الحكم في تقرت، حيث فتح هذا الأخير أبواب تقرت أمام أعداء فرنسا كناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله، وكان ذلك في 25جويلية1852.

بعد الهجوم على تقرت أدرك الفرنسيون أن منطقة واد ريغ وسوف أصبحت قاعدة انطلاق عمليات المغيرين على سياستها، فهي تزودهم في قضاء حاجاتهم[5]، لذلك أمر الوالي العام للجزائر بحصار اقتصادي لهذه المنطقة[6].

---

[1]تعتبر تقرت عاصمة للثورة خلال العصور الحديثة، تشتمل على ثمان وثلاثين قرية، أهمها كونين التي تلتقي بها القوافل التجارية المتوجهة إلى الجريد، تعتبر تقرت من الأسواق المهمة بالجنوب الجزائري، أنظر: مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية –مدن الجنوب- دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج2، ص207.

[2]رضوان شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1875)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص55.

[3]رضوان شافو: المقاومة الشعبية ضد التوغل والاستيطان الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري، محاضرة ألقيت بالملتقى الوطني الخامس عشر، دار الثقافة مفدي زكريا، المركز الجامعي بالوادي، يوم27فيفري2011.

[4]رضوان شافو: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزاءرية–منطقة وادي ريغ نموذجا-، سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد بسكرة، الإصدار الأول2012، ص54.

[5]رضوان شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها....المرجع السابق، ص49.

[6]إبراهيم مياسي الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص174.

وبعدما استقر الفرنسيون ببسكرة توقفوا مدة عن مواصلة الزحف نحو الصحراء، بعد تقديرهم لما سيواجهونه من صعوبات فاكتفوا بإرسال قوة عسكرية إلى منطقة تقرت وسوف بقيادة الجنرال "ديفو" للتعرف على مسالكها وسبر أحوال أهلها[1]،وكان سلمان الجلابي متفطنا لهذه السياسة فقد اعتمد في بداية مواجهته مع الفرنسيين على قدراته الذاتية، حيث أنه كان يدر محدودية قواته العسكرية في مواجهة الفرنسيين، فاستغل الظروف فيما مصلحة منطقته، فسياسته كانت تتراوح بين الولاء العلني والعداء السري لهم.

ولتطمين الفرنسيين بالولاء لهم بعث برسالة إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر[2]، يبدي فيها استعداده للتعامل مع فرنسا.

ويذكر "فيرو" أن الرسالة وصلت متأخرة لأن الحملة ضد تقرت كانت على قدم وساق، ثم إن تعليمات "راندون"[3] تعني فرض السلطة الفرنسية على الصحراء[4] في أقرب وقت ممكن خصوصا بعدما

أصبحت مركزا لنشاط الثوار ضد الفرنسيين، وكانت هذه المرحلة بالنسبة للفرنسيين مرحلة تقرب وترصد وجس نبض لمعرفة القوة الحقيقية للعدو من جهة، ومرحلة استكشاف واستطلاع خوفا من المجهول المنتظر من جهة أخرى.[5]

-المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة منذ استقبال الشريف محمد بن عبد الله في صيف1853 بتقرت إلى غاية سقوط المدينة في أيدي الجيش الفرنسي نهاية1854.[6]

ففي خريف1854 جهزت السلطات الفرنسية حملة عسكرية بقيادة كل من "مارميه" و"ديفو" و"بان"[1] وحينما وصلت القوات الفرنسية يوم26نوفمبر إلى موقع المقرين، وهو الموقع الذي تلتقي فيه مختلف الطرق، وقعت معركة سميت بمعركة "المقرين".[2]

---

[1]إبراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن إبراهيم العوامر، الجزائر، ط2، 2009، ص312.

[2]شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها.....، المرجع السابق، ص50.

[3]راندون: هو الحاكم العام للجزائريين سنتي (1857-1858) واسمه الكامل "جون لويس سيزار ألكسندر راندون"، أنظر: عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص574.

[4]-أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1860)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، ص360.

[5]شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها... المرجع السابق، ص51-52.

[6]شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها....، المرجع السابق، ص52.

ويذكر المارشال "ماكماهون" في مذكراته أن الفرنسيين أخذوا الخبرة من معركة الزعاطشة، حيث أصدر هذا الأخير تعليمات إلى ضباطه بعدم محاربة الشريف والسلطان سلمان في الواحات بل خارجها، وعدم مهاجمة تقرت مباشرة لأنها مدينة محاطة بالأسوار الحصينة ولذلك جرت المعركة في المقرين وليس في تقرت نفسها.

وعند وصول هذه الحملة في28نوفمبر كان الشريف قد توجه إلى وادي سوف لجباية الضرائب، أما سلمان فكان داخل تقرت ولم تكن المعركة حاسمة[3]، وحسب تقدير قائد الجيش الفرنسي أن قوات الشيخ سلمان تقدر بأكثر من 400فارس وألفين من المشاة.[4]

وتدعي فرنسا أنه خسر في هذه المعركة 500قتيلا وكل الرايات وألف بندقية وعدد من السيوف.

وعلى ذلك انسحب الشريف ورفيقه سلمان من تقرت إلى أن تمكنت القوات الفرنسية من دخولها يوم 5ديسمبر1854، وعين فرحات بن سعيد (عائلة بوعكاز) حاكما على تقرت وسوف ونواحيهما بلقب علي باي.[5]

د/ احتلال ورقلة:

تدخل دراسة منطقة ورقلة في عهد الاحتلال الفرنسي للشمال ضمن الدراسة التاريخية الشاملة للصحراء الجزائرية، ذلك أن الثورات الصحراوية تشكل وحدة متكاملة[6]،وتميزت منطقة ورقلة خلال المرحلة الأولى (من1830-1851) بالصراع المحلي الذي حال دون الاستعداد لمجابهة العدو الفرنسي.

---

[1]عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص46.

[2]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص176.

[3]أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص361.

[4]إبراهيم مياسي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص177.

[5]عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء، المرجع السابق، ص46.

[6]عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2004، ص83.

اتصل سلطان ورقلة "أحمد بن بابية" سنة1849 بالقيادة الفرنسية في تيارت للحصول على إمدادات يخضع بها ورقلة والقبائل المعادية له، مقابل تأدية اللزمة رمزا للخضوع للسلطة الفرنسية، وفي20نوفمبر 1849 م منحت السلطة الفرنسية إلى الحاج أحمد، لقب خليفة على كامل منطقة ورقلة.[1]

وفي سنة1850 توفي الحاج أحمد بن بابية سلطان ورقلة، وكانت السلطة في يد للا زهرة وولد عبد الله بن خالد، فعرضت السيدة زهرة السلطة على الشريف إبراهيم فقبلها وسمى نفسه سلطان ورقلة، وكان ابن الحاج بابية يطمح إلى أن يكون هو السلطان.[2]

أما المرحلة الثانية هي مرحلة مقاومة الفرنسيين، فقد ارتبطت بظهور محمد بن عبد الله وابن شهرة في وقت متقارب.

وفي شهر جويلية1851 نودي محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة لتجربته الحربية، كونه الرجل المناسب لصد تحرشات عملاء فرنسا[3].

وبعد بقاء الشريف مدة في ورقلة أخذ في مهاجمة المتعاونين مع الفرنسيين وكان هدفه الاستيلاء على تقرت ثم الأغواط وقد ظهر نشاطه في صيف1851[4].

أما العمليات الحربية التي خاضها محمد بن عبد الله خلال سنة1851 فأشهرها هجومه على ورقلة علىرأس مئة فارس، و900من المشاة[5]، منهم قبائل الأرباع والحرازلة وأولاد سيدي عطاء الله وقبائل سعيد عتبة ومخادمة ورقلة وشعانبة متليلي وقبيلة سيدي أولاد عمر بتماسين[6]، وعند واحة تماسين تقابل عبد الرحمن (سلطان تقرت) الذي كان على رأس 600فارس و150من المشاة بجيش محمد بن عبد الله، في البداية تغلب ابن جلاب وألحق بجيش عدوه خسارة تقدر ب30قتيلا و8جرحى، لكنه اضطر إلى التراجع في الجولة الثانية بعد أن خسر 80رجلا و25جوادا.[7]

---

[1] عبد الحميد زوزو: نفسه، ص94.

[2] حميدة عميراوي : السياسة الفرنسية، المرجع السابق، ص43.

[3] عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص96.

[4] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، ص358.

[5] عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص98.

[6] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص113.

[7] عبد الحميد زوزو : المرجع السابق، ص98.

وفي أوائل1852 هاجم الشريف الأغواط، ولكن المدافعين عنها أوقفوه نواحي ميزاب، ولم يستطع ابن الأحرش الذي رد هجوم الشريف أن يكمل عملياته فرجع دون نصر، كما هرب أحمد بن سالم محتميا بالسلطة التي عينته، واكتسب الشريف قوة هائلة بانضمام الآغا حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ إلى ثورته (مارس1852).[1]

وفي شهر أكتوبر1852 وصل إلى الأغواط، ثم عاد إليها في منتصف شهر نوفمبر برفقة ابن شهرة، واعتصم بالمدينة ودافع عنها طويلا ضد الفرنسيين الذين افتكوها منه ودخلوها في يوم4ديسمبر1852، وبالرغم من النتيجة السلبية التي أسفر عنها قتال مدينة الأغواط بالنسبة لمحمد بن عبد الله، فإن حركته ظلت متواصلة، بحيث قام على رأس قبائل الشعانبة والأرباع والحرازلة في جانفي1853 بالاستيلاء على مواشي قبائل السوامة ورحمان الخاضعة للقائد أحمد الحاج بن قانة، كما قام بهجمات رفقة حمزة وسي النعيمي على المنطقة المحصورة بين الأغواط والبيض، والاستيلاء على مواشي أولاد سعيد بن سالم.[2]

أما الخطة المتبعة من سياسة" راندون "(Randon) تقوم على الضغط باستمرار على الثوار، وحمل القبائل الموالية للفرنسيين على محاصرة القبائل الثائرة.[3]

وطبقا لهذه الخطة تم احتلال مدينة الأغواط، وقد سمح للماريشال راندون أن يجعل منها نقطة ارتكاز إستراتيجية باعتبارها بوابة الصحراء كلها وتقرر إنشاء مركز جديد بالبيض سنة1853، كما اعتمد في هذا المجال على نفوذ سي حمزة من قبائل أولاد سيدي الشيخ.[4]

وفي نوفمبر1853 شهدت هجوما واسعا ضد محمد بن عبد الله وحركته، ولعب فيه الخليفة حمزة دورا رئيسيا وبذلك تنتهي سلطنة ورقلة على يد حمزة، وتدخل تحت النفوذ الفرنسي بتاريخ27 جانفي1854، وهذا التاريخ متوافق مع دخول الكولونيل "دوريان "(Durrien) إلى المنطقة ليتسلمها من سي حمزة إيذانا بخضوعها للفرنسيين وإلزام السكان بدفع ضريبة سنوية تقدر بإلفي فرنك.[5]

المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي للجزائر:

---

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص358.

[2] عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص99.

[3] عبد الحميد زوزو:نفسه، ص100.

[4] عميراوي حميدة: المرجع السابق، ص45.

[5] عبد الحميد زوزو : المرجع السابق، ص101.

أ/احتلال منطقة تيديكلت:

1- أهمية موقع تيديكلت:

تقع منطقة تيديكلت في أقصى الجنوب الجزائري بين خطي عرض 25°و30° شمالا وخطي طول 1°غربا و6°شرقا، يحدها من الشمال هضبة تادمايت ومن الجنوب منطقة الهقار ومن الناحية الشرقية واد إغرغارن ومن الناحية الغربية تحدها منطقة توات وصحراء تانزرفت.[1]

تحتوي تيديكلت على سبعة تجمعات كبيرة تزيد عن 45 ومن أكبر حواضر هذه التجمعات عين صالح وعين غار وأولف.

بحكم موقع تيديكلت التي تتموقع في مكان استراتيجي حيث أنها حلقة وصل ومركز هام لالتقاء القوافل التجارية القادمة من الشمال الجزائري والسودان الغربي وليبيا والمغرب.[2]

هذا الموقع الجغرافي الغني بمصادر مياهه الجوفية ووفرة خيراته الاقتصادية وثرواته الباطنية أصبح محل اهتمام السياسة الاستعمارية الفرنسية والشركات العمومية المختصة بمد خطوط السكك الحديدية بربط المنطقة اقتصاديا بالجزائر الشمالية.[3]

2- البعثة الاستكشافية لمنطقة تيديكلت:

بعد أن هيأت السلطات الاستعمارية الظروف العسكرية أرسلت بعثة علمية استكشافية للتعرف على مكونات هضبة تادمايت الجيولوجية والنباتية، وقد عرفت هذه البعثة ببعثة "فلامون" (FLAMEN) التي اتجهت من ورقلة إلى عين صالح[4] عاصمة منطقة تيديكلت يوم 28نوفمبر1891.[1]

---

[1] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص453.

[2] إبراهيم مياسي: نفسه، ص453.

[3] نفسه، ص454.

[4] عين صالح: هي المركز الإداري لواحات تيديكلت بالجنوب وبها واحات نخيل بديعة وآبار وفوارة غنية، وحوض ماء يسمى البركة، أنظر: سليمان داود بن يوسف: انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء، الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية،الجزائر،1979، ج1،ص122.

أشرفت وزارة المعارف العمومية والمستعمرات على هذه الرحلة، ودعمتها الحكومة بميزانية خاصة إثر طلب الوالي العام "لافريار" (LAFERRIERE) كما أمرت السلطات الاستعمارية النقيب "بان" PEIN الذي يترأس المكتب العربي بورقلة بأن يحمي هذه البعثة على رأس فرقته المتكونة من 90مهربا و15فارسا، وانضم إليهم مقدم القادرية بورقلة ومعه40مهربا، كما كلف وزير الحرب النقيب "جرمان" بالتحرك مع فرقة الصبايحية الصحراوية باتجاه البعثة لحمايتهم.[2]

غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم28نوفمبر1899 متجهة نحو عين صالح حيث وصلت يوم1899/12/9 إلى حاسي إينفل، وفي15ديسمبر وصلت إلى حاسي السوقي، وغادرته يوم18 لتلتحق بحاسي المقر، ومنه إلى رق أجماد وواد مين وفي يوم26ديسمبر من نفس السنة وصلت فوقارات الزوا، ثم حطت رحالها بواحة إيقوستين.[3]

3- سقوط عين صالح:

في27ديسمبر1899 خيم النقيب "بان" بجوار فقارة الحاج عبد القادر وقد أدرك سكان المنطقة أن الحملة موجهة ضدهم فتهيأوا للمعركة، حيث قام شيخ قبيلة باجودا الحاج المهدي باجودا بجمع المقاتلين من القصور المجاورة كقصر الساهلة وحاسي الحجر وأولاد ماحي وأولاد دهان وتمكن من جمع ما يقارب2000مجاهد بقصر ايقسطن[4]، وبعد معركة دارت بين الطرفين، قتل قائد المقاومة الحاج المهدي وتمكنت القوات الفرنسية من دخول القصر.[5]

---

[1] دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص14.

[2] إبراهيم مياسي : التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية، المقال السابع، ص228.

[3] عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص48.

[4] قلوم المكي: الغزو العسكري الاستعماري لأقصى الجنوب والمقاومات المسلحة الشعبية لمنطقة توات وتيديكلت وتيقورارين في مجابهة هذا الغزو، مجلة آفاق التنمية، أدرار1987، ص38.

[5] دحمان تواتي: المرجع السابق، ص15.

تمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى عين صالح يوم 30 ديسمبر 1899 م دون مقاومة تذكر وبسقوطها دخل إقليم توات الكبير مرحلة جديدة وهي مرحلة التواجد الفرنسي بالمنطقة.[1]

ب/ احتلال قورارة [2]وتوات:[3]

استمرت فرنسا في توسعها الاستعماري في الجنوب الغربي، فأرسلت يوم 17أفريل 1900 طابور العقيد "مينسترال" (Menestrel) لإخضاع قصور قورارة انطلاقا من المنيعة، ورغم قوة الجيش الغازي المتألف من 800رجل ومدفعين، إلا أنه وجد مقاومة من سكان قورارة جعلته يطلب المدد من الحامية الفرنسية بالبيض بفرقة قدرها 400 جندي، استطاعت بعدها القوات الفرنسية أن تدخل مدينة تميمون[4] يوم12ماي، ثم استمر الجنرال "مينسترال" في إخضاع ما بقي من الإقليم فواصل سيره يوم 31ماي إلى قصور "زوا" و"دلول".[5]

وفي يوم8جانفي1901 تشكل طابور قوي رحل من تميمون يوم26من نفس الشهر، وعندها قام الجنرال "سرفيار" (Serviere) بأخذ جميع احتياطاته ولنجاح هذه المهمة رصدت لها فرنسا طابورين آخرين الأول بقيادة "سرفيار" ويتضمن 800جندي وأربع مدافع والثاني تشكل من حوالي300جندي.[6]

---

[1] دحمان تواتي،المرجع السابق، ص15.

[2] تقع منطقة قورارة في الجهة الشمالية لإقليم توات يحدها من الشمال ولاية البيض ومن الجنوب منطقة توات الوسطى،أنظر:الصديق حاج أحمد:التاريخ الثقافي لإقليم توات،ددن ،دم ن،ط1،2013 ،ص59.

[3] يحتوي إقليم توات على عشرة مقاطعات تمتد من الشمال إلى الجنوب كما يلي :

قصور بودا: بها 13قصرا، قصور تيمي: بها32 قصرا، قصور تمنطيط: وهي3قصور، قصور بوفادة: وهي4قصور، قصور إنغيل: وهي14قصرا، قصور تمست: وهي12قصرا، قصور أولاد سيدي حم بن الحاج وبها 15قصرا، قصور سامي: وتضم3قصور، قصور زجمي: تضم 11قصرا، قصور ركا أو "رقان"، أنظر: محمد حوتية: آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة،دار الكتاب العربي،ص ص36_40 .

[4] تميمون هي أم قرى "منطقة تينقورارين" تقع على بعد184كلم من أدرار إلى الشمال على الطريق التي تربط المنيعة ومقاطعة غرداية بـ "إقليم توات"، أنظر: إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص506.

[5] دحمان تواتي: المرجع السابق، ص20.

[6] عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص59-60.

وكانت الانطلاقة من تيديكلت لتلتقي مع طابور الجنرال الذي انطلق يوم30جانفي من تميمون في بلدة تيمي[1]، فدخلت القوات الفرنسية إقليم توات أخضعته، ووقعت أدرار عاصمة الإقليم في قبضة العدو يوم10فيفري 1901م.[2]

وتميزت سنة1901 م بإخضاع منطقة "وادي الساورة" وتنصيب الحاميات العسكرية بها تمهيدا لاحتلال دائم وشامل، إذ نصبت حامية تاوريتوتاغيت، تحت القيادة العليا للعقيد "بييه" وتم احتلال بني عباس يوم1مارس1901م ونقل مكتب الشؤون الأهلية من إيغلي إلى بني عباس، وأشرف على هذا الاحتلال الجنرال "سبورغ" قائد الناحية العسكرية بوهران الذي استقر بـ "بني عباس" وأرسل العقيد "بييه " للقاء الجنرال "سرفيار" حتى تتلاحم القوتان، قوة الشعبة العسكرية لوهران وقوة الشعبة العسكرية للجزائر، وقد حدث هذا في قصابي يوم13 أفريل 1901 م.[3]

وبعد احتلال هذه المناطق قام الجنرال سرفيار بتنصيب الحاميات العسكرية وإنشاء الدوائر والملحقات، ثم ألحق هذه التنظيمات الاستعمارية الجديدة بتعيين الضابط لابرين قائدا أعلى للواحات الصحراوية.

قام لابرين بتنظيم الفرق الصحراوية للقيام بعمليات التوسع ولذلك أنشأ الإقليم الصحراوي الذي سوف ينفصل عن الشمال ابتداء من 31ديسمبر1902 وحينها تم إسناد النقاط الهامة في الصحراء، توقرت[4]،غرداية، عين الصفراء، الواحات الغربية، إلى ضباط الشؤون الأهلية تحت سلطة القائد الأعلى المتصل مباشرة بالوالي العام للجزائر ونظمت ثلاثة سرايا صحراوية جديدة في جويلية1902 م لتعويض الوحدات التقليدية، ورغم ذلك اندلعت معارك أخرى.[5]

---

[1] تيمي قاعدة بلاد توات ، أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، تح عبد الله حمادي، ج1، ط1، 2011، ص316.

[2] إبراهيم مياسي: المقال السابق، ص234.

[3] عميراوي : السياسة الاستعمارية....، المرجع السابق، ص60.

[4] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص495.

[5] إبراهيم مياسي:نفسه، ص495.

وفي29مارس1903م قام أولاد جرير بهجوم على فصيلة عسكرية في بئر "قصر العزوج" من أجل افتكاك جمالها، وتحول الاشتباك إلى معركة ضارية أسفرت عن قتل ثمانية جنود منهم العريف "فورييه" وستتة جرحى.[1]

وفي6مارس1903 م قامت مجموعة من أولاد جرير والبربرية وبني غيل (150رجل منهم 600فارس) بالهجوم على قافلة متوجهة نحو بني عباس، أسفرت عن قتل العديد من الفرنسيين وعرقلة تقدمهم نحو الجنوب.[2]

ج/ إخضاع منطقة الساورة:

في11ماي1903 عين السيد "جونار" "Jonnard" الخبير بالشؤون الجزائرية على رأس الولاية العامة للجزائر للإسراع بالتوسع الاستعماري بالجنوب، ومباشرة بعد هذا التعيين قام الوالي العام يوم31 ماي بجولة تفقدية إلى الجنوب الغربي وبها تعرض لهجوم سكان "زناقة" بفقيق، وكان الرد من طرف الاحتلال هو القصف بالمدفعة لهذا القصر يوم8جوان، ولذلك اضطر السكان إلى طلب الأمان من الحكومة الفرنسية، ومنح لهم ذلك.[3]

استمرت الانتفاضات رغم قوة الفرنسيين، حيث شهدت المنطقة معارك عسكرية حاسمة منها:

-معركة الموقار يوم2سبتمبر1903، وقبلها كان هجوم تاغيت، وفي هذه الأثناء قامت فرنسا بتعيين العقيد "ليوتي "(Lyautey) على قيادة عين الصفراء لمراقبة ضواحي أولاد جرير وضوي منيع زوزفانة، وتمكين القوات الفرنسية من احتلال منطقة توات عن آخرها.[4]

وهكذا استطاعت القوات الفرنسية اجتياز جبل بشار في نوفمبر1903 واحتلت كولومب بشار ونصبت فيه مركز عسكري لتصبح عاصمة المنطقة.

وفي أفريل1904 جمع الرائد بيرون "Pieron" القائد الأعلى لدائرة كولومب بشار، قوة من مخزن بني عباس وكولومب بشار وتاغيت (45فارسا و70مهريا)، وانضموا إلى ضوي منيع والتحموا في إيغلي التي غادروها يوم22أفريل لغزو قبائل آيت وأولاد جرير، وبعد ثمانية أيام رجعوا إلى إيغلي ومعهم ثلاثمائة جمل.[1]

---

[1] عميراوي: السياسة الفرنسية....المرجع السابق، ص60.

[2] إبراهيم مياسي : المقال السابق، ص236.

[3] إبراهيم مياسي : نفس المقال، ص ص:236-237.

[4] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع، ص61.

وفي يوم9ماي1904 اندلعت معركة ضروس في "عقلة برداين ضوي منيع والبربرية" إثر عمليات الغزو، وتدخلت القوات الفرنسية إلى جانب ضوي منيع، تحت قيادة "بيرون" (Pieron) بمشاركة فرقة بشار بقيادة الملازم "كانافي" (Canavy) وفرقة بني عباس بقيادة إيفري(Ivry) التي اجتمعت بإيغلي وقامت بملاحقة الثوار في عقلة بردا.[2]

واستطاعت أن تشتتهم وتفك منهم 35جملا، وعلى إثر ذلك استمرت التنظيمات للمناطق المحتلة، فأنشأت السلطة الاستعمارية الكتيبة الصحراوية للساورة، وألحقت إيغلي بمركز بني عباس وعوضت النقيب "رينو"(Regnaul) قائد بني عباس منذ احتلاله بالنقيب "دوري "Doury" أول قائد للكتيبة الصحراوية بالساورة، ولكنه عوض قبل نهاية1904 بالنقيب "مارتين"(Martin) لإنجاز المشاريع التوسعية.[3]

وفي أواخر سنة1904 اجتمعت قوة من "شعانبة بوعمامة والبربرية" ومسلحة تسليح جيد، وفي11ديسمبر قامت بهجوم على دورية من الكتيبة الصحراوية "لتينقورارين" وأسرت خمسة من أفرادها، وبعد يومين هاجمت قافلة البيض، وقتلت منها حوالي40 شخصا وغنمت حوالي ألف جمل، لذلك استنفرت القوات الفرنسية في "بني ونيف" و"بشار" و"بني عباس" و"تيميمون"، لملاحقة الثوار ومطاردتهم، لذلك اجتمعت قوة كبيرة ضمت كتيبة قورارة تحت قيادة الملازم بلني "Belene" والكتيبة الصحراوية بالساورة تحت قيادة الملازم روسو(Rousseau)، وراكبي الجمال من تيديكلت تحت قيادة الملازم فوانو (Voinot)[4]، انطلقت هذه القوات تحت قيادة النقيب مارتين (Martin)، وتم الاشتباك يوم 31ديسمبر 1904، بغارات "دويفة" شمال "مريجة".[5]

ومع مطلع سنة1906 قامت القوات الفرنسية بهجوم مفاجئ ضد "شعانبة الشيخ بوعمامة"، كما قام النقيب مارتين بجولة من17فيفري إلى1مارس1906 للتعرف على "طابلبالا" و"وادي داورا" بالعرق "الراوي"

---

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص498.

[2] إبراهيم مياسي : المقال السابق، ص ص:237-238.

[3] حميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص61.

[4] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص499.

[5] عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص62.

جنوب غرب "بني عباس" لاحتلالهما فيما بعد، كما قام بجولة استكشافية أخرى من12جوان إلى2جويلية1906 م إلى "صوبتي" شمال غرب "بني عباس" على حواف مرتفع "كمكام".[1]

وفي شهر مارس1908 م اندلعت معركة قرب داورا لمحو البعثة الاستطلاعية المتجهة نحو الغرب، فقامت بمحاصرة القوات الفرنسية المخيمة بالحمادة ليلا وقضوا عليها بشكل قوي، وقتل فيها الملازم رونيه، وجرحوا العديد من أفرادها، أما الثوار فقتل منهم شهيدين و15جريحا، وسميت هذه الواقعة بـ "معركة الحميدة"[2].

وفي أواخر شهر سبتمبر1908 م تكونت قوة هائلة تحت قيادة "بوجمعة بن جمعا" من "أ ولاد جرير" وانحدرت مع "وادي قير و زور فانة" بطرد الفرنسيين، فاعترضت سبيلها قوات مركز بشار وإيغلي وبني عباس واشتبكت معها وفقدت القوات الفرنسية على إثر هذه المواجهة العديد من جنودها وبعض الضباط، على إثر ذلك قام الملازم "ريتو"(Riottot) في شهر جويلية1909 م بجولة تفقدية "بالعبادلة" وتعرف النقيب "كونسال" (Concel) على عرق إيقيدي أواخر سنة1909م ومطلع سنة 1910[3].

وأهم حدث ميز عام1910 هو احتلال "تابلبالا"، هذا الاحتلال الذي هيأت له فرنسا كل الإمكانيات منذ زمن بعيد نظرا لموقع هذه الواحة الاستراتيجي، ولم تتمكن من احتلاله إلا في جوان1910.

كما قام النقيب "بيريو" (Berriau) خلال شهر أفريل1911 بزيارة قير الأسفل بمنطقة بردا بوعلاس ورجع في شهر ماي عن طريق تابلبالا.[4]

وفي ديسمبر انطلقت قوة من راكبي الجمال والقوم تحت قيادة النقيب "ماس-لاتري" Mas-Latrie قائد كتيبة توات لتستقر بمنطقة عقيلات محمد لتراقب وتتابع الثوار، ولكنها لم تعثر على شيء ورجعت في شهر جانفي1912[5].

وفي 23ماي اندلعت معركة القطارة بين الفرنسيين والجزائريين وحوالي 150 مجاهدا ولقد شارك فيها عدد هائل من المغاربة وأولاد جرير.

---

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص501.

[2] إبراهيم مياسي : نفسه، ص ص :502 -503.

[3] إبراهيم مياسي : المقال السابق، ص241.

[4] حميدة عميراوي : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص63.

[5] إبراهيم مياسي: المقال السابق، ص242.

ثم جاءت معركة بئر زمالة ومعركة فريزم يومي29و30نوفمبر1912 م على تخوم عرق شاش كآخر مرحلة لاحتلال هذه المناطق.[1]

المبحث الثالث : التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي :

أ/ إخضاع منطقة الهقار:

إن النوايا الحقيقية للفرنسيين اكتشفت بمجيء المقدم فلاترس سنة1880 م إلى الهقار[2]، والتي كانت تهدف إلى عبور الصحراء من ورقلة إلى السودان[3]، وهو ما دفع بطوارق أزقار والهقار وكال أوات وطوارق تمبكتو في مدينة غات مقاومة أي محاولة أوروبية للتغلغل في الصحراء، وفي هذه الفترة برزت شخصية اهتيفال محمد بسيكا بن الحاج البكري (1877-1907) أميسكال طوارق الهقار الذي أخذ ينظم ويوحد صفوفهم وهو ما دفع بالفرنسيين إلى محاولة التفاوض معه إلا أنها لم تفلح في ذلك، وأهم ما قام به الثوار هو نصب كمين معركة بئر الغرامة[4] يوم18 فيفري1881 م فقتل فلاترس، وهكذا باءت البعثة بالفشل[5].

عينت الإدارة الفرنسية الضابط "لابرين" على رأس القيادة العسكرية التي استحدثت لجنوب الجزائر عام1902[6]، وقد جعل "لابرين من منطقة عين صالح قاعدة لقيادته العسكرية، كما كلفت الإدارة العسكرية الضابط كوتنيس للقيام بحملة تصب في مسعى الهيمنة على ما تبقى من أراضي الجنوب.

توجهت حملة كوتنيس من منطقة أمقيد باتجاه إدلس شمال شرق منطقة الهقار، واستعمل فيها الجيش الفرنسي سياسة الأرض المحروقة.[7]

---

[1] إبراهيم مياسي : المقال السابق،ص242.

[2]-حميدة عميراوي : السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص52.

[3]-هنري لوت: ماضي أهقار تاسيلي: أصل السكان، التأثيرات الأجنبية المختلفة، معلومات تاريخية حسب المؤلفين والرحالين، الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي،وزارة الشؤون الدينية،الجزائر،1979 ،ج1،ص104.

[4]-حميدة عميراوي: المرجع السابق، ص15.

[5]-الجيلالي صاري: الهقار وأبعاد مقاومته، الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي،وزارة الشؤون الدينية،الجزائر،1979 ،ج1 ص39.

[6]-يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص72.

[7]-أحمد مريوش : المقال السابق، ص130.

تمكن كوتنيس من التوغل داخل الصحراء واستطاع الاستيلاء على منطقة تازوك ومنها توجه صوب منطقة تين تارابين، وهناك اصطدم بالمقاومة الترقية التي كانت تقودها قبيلة آيت لوين، لكن عمر المقاومة لم يدم طويلا وتمكن الجيش الفرنسي من دحر المقاومة الترقية للاختلاف والعدد بين الطرفين، وهكذا وسع الجيش الفرنسي نفوذه، ووصل إلى منطقة وادي تيت[1]، وذلك خلال سنة1902 ، لكن الجيش الفرنسي وجد صعوبة بعد أن تصدى له الطوارق في موقعة "قارة تين آسيا" وقتلوا قائد الحملة الفرنسي كوتنيس إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام الغزاة ومنوا بهزيمة، وتمت السيطرة الفرنسية على إقليم الهقار.[2]

ب/ السيطرة على إقليم الطاسيلي:

بعد أن بسطت السلطة الفرنسية نفوذها بمنطقة الهقار، حاولت القوات الفرنسية التوغل في منطقة جانت في أول مسعى لها سنة1908م إلا أنها وجدت مقاومة من أهل الطاسيلي بقيادة الشيخ آمود الذي رفض معاهدة الصلح ومواصلة الجهاد.[3]

ونظرا للمقاومة التي أبداها سكان المنطقة والصعوبات التي تعرضت لها الفرق العسكرية الفرنسية بهذه المنطقة، ونظرا لتداخل المنطقة الحدودية الجزائرية –التونسية–الليبية، لهذا قامت كتيبة تيديكت في نوفمبر1911م بالهجوم على واحات منخفض طارت لتحتله ريثما تسطو على جانت[4]، ومن أجل ذلك كلف النقيب شارليه (Charlet) قائد الكتيبة الصحراوية بتيدكلت يوم13 نوفمبر1911 أعوانه في إليزي بإعداد العدة، وطلب كذلك من الملازمين "سيقونيي" و"أردييون" قائدا فرق الهقار والآقير الاستعداد التام للهجوم على جانت، وذلك الأمر كان منذ26نوفمبر، فتحركت الفرق العسكرية يوم27نوفمبر نحو جانت، وتصدر مقدمة الطابور القائد عبد النبي صحبة ابنه والعريف التارقي "أواني" مع أحد راكبي الجمال، ليمهدوا للقوات الفرنسية الطريق ويدخلوا الواحة بطريقة هادئة[5]، ودخل الطابور الفرنسي إلى أول قصر من جانت وهو "آزلواز" عبر "وادي ادجيريو"، وأقنع القائد الفرنسي "أدريان" سكان المنطقة بأن مهمته تتمثل في إرساء الأمن في هذه الواحات.[6]

---

[1]–منطقة تقع غرب مدينة تمنراست على بعد50كلم، أنظر : أحمد مريوش: المقال السابق، ص146.

[2]أحمد مريوش : المقال السابق، ص131.

[2]إبراهيم مياسي : قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص126.

[4]إبراهيم مياسي: نفسه، ص126.

[5]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص535.

[6]إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص127.

توحدت جهود السنوسيين في كل من الجزائر وليبيا بعد أن حملت لواء الجهاد عند الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة وأعوانه، وعند الشيخ بوعمامة وثورته وعند الشهيد الحاج المهدي باجودة في عين صالح واستشهاده في معركة الفقيرة.

ومن جملة المعارك التي خاضتها هذه الحركة معركة إيسين الشهيرة التي وقعت في شهر أفريل 1913.[1]

حيث خيم الملازم غاردل " Gardel" مع فرقته بـ"تين-الكوم"، وتمكن يوم10أفريل من الوصول إلى إيسين حيث اشتبكت الفرقة العسكرية الفرنسية مع المجاهدين ودارت معركة في إيسين دامت أربعة عشر ساعة، وحسب التقارير الفرنسية، فإن القوات الفرنسية قد قتل منها جنديين وجرح إحدى عشر آخرين منهم العريف أحمد بن عمار بالإضافة إلى العريف علي بن اعرابي وإبراهيم آق بوكا، أما عن الحركة فقد اقتحمت المعركة بقوة تتراوح ما بين200و250 رجلا، واستشهد وجرح منهم ما بين ستين وسبعين رجلا[2].

وباندلاع الحرب العالمية الأولى، تغيرت موازين القوى بالمنطقة في خريف1914[3]م، حيث تسببت هذه الحرب في نوع من الاضطراب بالصحراء، كان الدافع إليها هم السنوسيون المستقرون بفزان، وبتحريض الأتراك، بعد أن قامت جماعة من سكان الطاسيلي التي انضم إليها رجال قبيلة "آيت لواعيان" في الهقار بطرد الإيطاليين من مختلف المراكز المحتلة وعمدوا إلى اغتيال الأب "دو فوكو" في تمنراست، حيث نشبت معارك محلية في الطاسيلي إحداها بالقرب من قمة "إيلامان" التي خلفت ضحايا من الجانبين، وحيث أن سبل التموين المؤدية إلى السودان و"تيدكلت" قد أغلقت فقد عمت المجاعة[4].

وبعد هذه العملية التي هزت الفرنسيين وأنصارهم في الهقار، قررت السلطات العسكرية الفرنسية تعيين قيادة جديدة من أجل تنسيق جميع العمليات العسكرية تحت قائد يجمع بين مختلف مناطق الصحراء الكبرى، أسندت مهمتها إلى الجنرال "لابيرين" يوم12جانفي1917م[5].

---

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص535.

[2] مياسي: نفسه، ص538.

[3] إبراهيم مياسي : قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص129.

[4] هنري لوت: المقال السابق، ص105.

[5] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع، السابق، ص545.

وفي سنة1918م وبفضل الدعم الألماني-العثماني انتشرت الأفكار السنوسية المعادية للاستعمار الأوروبي في الصحراء، واصطدمت القوات الفرنسية مع القوات العثمانية على الحدود الجزائرية الليبية، واستمر النزاع طويلا انتهى في الأخير بفرض فرنسا سيطرتها على كامل المنطقة.[1]

لقد عزمت فرنسا على احتلال الجنوب الجزائري وبدأت قواتها تكتسح أبواب الصحراء والمناطق الإستراتيجية فاحتلت الأغوط سنة1852م بعد مقاومة عنيفة من طرف سكان المنطقة ولحقتها ورقلة التي وقعت تحت قبضة المستعمر سنة 1853م ،وتقرت سنة 1854م،ثم غرداية سنة1882م بعد أن وقع أهل ميزاب اتفاقية الحماية سنة1852م،وبذلك احتلت فرنسا المداخل الأولى للصحراء الكبرى.

بعدها جاء التوسع المنظم والعسكري لعين صالح وتوات والساورة فشرعت في تشييد الحصون المنيعة كمراكز ارتكاز ومنطلقات أمامية لحركة الزحف والتوسع الاستعماري في الصحراء،

وأخيرا التوسع في الهقار والطاسيلي ،إلا أن القوات الفرنسية وجدت مقاومة عنيفة من طرف السكان وقفت في وجه الزحف الاستعماري.

[1] إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص135.

المبحث الأول: المقاومة في شمال الصحراء:

أ/مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895):

1- حياته:

ينتمي محمد بن عبد الله[1] إلى أولاد سيدي يوسف، فرع أهل روسل قرب عين تيموشنت[2] واسمه حسب الوثائق الفرنسية إبراهيم بن أبي فارس[3] توجه بعائلته إلى مدينة تلمسان واشتغل معلما للقرآن الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ.[4]

في البداية أظهر ابن عبد الله ميلا للتعاون مع الفرنسيين ضد الأمير عبد القادر، لذلك منحته السلطات الفرنسية لقب "سلطان".[5]

---

[1] اسمه الحقيقي هو إبراهيم بن أبي فارس (عبد العزيز) كان يضيف كلمة المدني لتوقيعه الرسمي ولعل ذلك إشارة إلى المدينة المنورة التي يكون قد أقام بها لفترة. أنظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية1830-1900، المرجع السابق، ص355.

[2] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص101.

[3] بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ص198.

[4] يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (ثورات القرن20)، المرجع السابق، ص154.

[5] سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، دار الأمر، الجزائر، ط1، 2004، ص157.

وعندما شرع الجنرال "بيدو" (Bedeau) في الزحف على مدينة تلمسان تحت امرة الجنرال بيجو يوم14 جانفي 1842، كان السلطان محمد بن عبد الله ضمن قواته بأتباعه وطمع في أن يعينه "بيجو" خليفة عليها أواخر شهر جانفي، وتم له ما أراد في البداية، إلا أنه تعرض لمضايقات دفعته إلى تغيير موقفه واتجاهه.

وقد طلب منه حاكم تلمسان الجنرال "بيدو" أن يحلف على مصحف لتأكيد إخلاصه للفرنسيين، وهذا يشير إلى أنهم يشكون في إخلاصه لهم.[1]

كما طلب منه أن يترحم على عدد من الموتى الفرنسيين الذين قتلوا،خلال حصار تلمسان في حفل دفنهم، ولكن محمد بن عبد الله رفض ذلك وقال: -حسب ما رواه تروسيلي-: "إنني معكم إلى أن يحكم الله بافتراقنا".[2]

لازم محمد بن عبد الله في بداية أمره الاعتكاف في ضريح ومسجد العالم الأندلسي "أبي مدين شعيب" بحي العباد للتعبد ظاهريا، بينما في الحقيقة كان يجري الاتصال بأنصاره وأتباعه لوضع خطة للخروج على السلطة الفرنسية، وبقي عدة سنوات بدون أي نشاط يذكر.[3]

وفي أحد الأيام من عام1844، استيقظ الفرنسيون فوجدوا مكتوبا على جدران مدينة تلمسان "محمد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين"، مما جعل السلطات الفرنسية تشير عليه بأداء فريضة الحج للتخلص من مشاكله.[4]

اعتبر محمد بن عبد الله ذلك طردا مهذبا له، فغادر تلمسان غاضبا وحاقدا بصحبة عائلته وكاتبه الخاص، ومن وهران ركب باخرة نقلته إلى الإسكندرية ومن هناك اتجه إلى مكة والمدينة، وبعد أدائه لمناسك الحج، اتصل هناك بعدد من الجزائريين المنفيين والهاربين من الاضطهاد الفرنسي.[5]

وكان من ضمن من اتصل بهم محمد بن عبد الله هناك محمد بن علي السنوسي الذي طرد من الجزائر عام1849، فوثق صلاته به واشترك معه في تأسيس زاوية دينية هناك، اتخذت بمثابة ملجأ للاجئين والمهاجرين الجزائريين.

---

[1] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص102.

[2] يحي بوعزيز : ثورات القرن العشرين، المرجع السابق، ص155.

[3] يحي بوعزيز :ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895)، الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب، الأغواط23-24ماي1998، ص124.

[4] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص103.

[5] سعيد بورنان : المرجع السابق، ص158.

ومن هناك أخذ بن عبد الله والسنوسي يتبعان أخبار البلاد بانتظام وأحيانا يوجهان مبعوثين خاصين لنشر مبادئ طريقتها وبث أفكارهما السياسية وحث الناس على مقاومة السيطرة الفرنسية.[1]

وكانت الجزائر في هذه الفترة تعيش أوضاعا خاصة مناسبة للقيام بثورة ضد المحتلين، وكان أتباع الحاج أحمد باي يواصلون المعارك في الجبال، وفي عام1849 ثار سكان الزعاطشة، والزابا الظهراوي وامتدت ثورتهم إلى الحضنة غربا، وظهر بن ناصر بن شهرة بحركته في أواخر1864، وظهرت تمردات أخرى في بعض جهات جرجرة وسور الغزلان، وبذلك كان التذمر عاما.[2]

2- عودة محمد بن عبدالله إلى الجزائر وبداية كفاحه:

في ظل هذه الأوضاع، عاد ابن عبد الله إلى الجزائر في أوائل عام1850 برفقة الحاكم العثماني لطرابلس (عزت باشا)، واستقر بزاوية "الرويسات" قرب ورقلة، ووصل السنوسي بدوره إلى طرابلس، وأخذ يراسله من هناك وصادف ذلك وفاة سلطان ورقلة الحاج أحمد بن باية، تاركا السلطة في يد "للا زهرة" التي عرضت السلطة على بن عبد الله فقبلها، وبايعه سكان ورقلة في شهر أوت1851.[3]

ومن هناك عرف بـ"سلطان ورقلة" وفي الوثائق الفرنسية بشريف ورقلة، وبعد سيطرته على ورقلة اتجه إلى تقرت وانضم إليه سلطانها السابق سليمان بن جلاب، كما انضم إليه سكان متليلي يوم12سبتمبر، وشنوا هجوما على "أولاد مولات" بالزيبان، ثم هاجموا ابن جلاب (عبد القادر بن جلاب سلطان تقرت) وقتلوا له85رجلا، وأرغموه على الاعتصام في قصره.[4]

ثم غادر محمد بن عبد الله تقرت متجها إلى جبال عمور لجمع المؤن، وصادر أملاك عائلة شيخ نقوسة، وفي شهر ديسمبر غزا دوار أولاد ساعد بن سالم في أولاد نايل، وأخذ يستعد لغزو مدينة "بريان"[5]الميزابية، وكاتب باقي المدن الميزابية الأخرى طالبا منهم الخضوع، ولكنهم رفضوا وأعلنوا استعدادهم لمحاربته[6].

---

[1] يحي بوعزيز : ثورات القرنين ،ج2، المرجع السابق، ص156.

[2] يحي بوعزيز :ثورات القرنين،ج2، المرجع السابق، ص157.

[3] سعيد بورنان : المرجع السابق، ص159.

[4] يحي بوعزيز : كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص105-106.

[5] تبعد بـ48كلم عن غرداية، وهي من أحدث قرى ميزاب تأسيسا حيث وقع ابتناء بريان في أواخر القرن17م. أنظر: يحي بوعزيز كتاب الجزائر دار البصائر، الجزائر، 2009 ، ص290.

[6] يحي بوعزيز: ثورة الشريف محمد بن عبد الله، المقال السابق، ص129.

وفي شهر فيفري1852، حاول ابن عبد الله التوسع نحو الشمال، فاعترضته قوم الآغا الشريف (بن الأحرش) زعيم أولاد نايل، وحصلت بين الطرفين معارك عاد على إثرها محمد بن عبد الله إلى الجنوب، وأغار على بعض جهات ميزاب، وفقد خلالها خليفته ونائبه[1].

وفي شهر مارس غزا منطقة الأغواط، وقد تعاون آغا الأغواط يحي بن معمر بن سالم مع محمد بن عبد الله في محاولة السيطرة على مدينة الأغواط، وفرضا عليها حصارا يوم15سبتمبر1852، ولكن الجنرال يوسف أنجدها بسرعة وأبعدهما عنها[2].

3- استعدادات الفرنسيين ضد محمد بن عبد الله:

بعدما أدرك الفرنسيون خطورة حركة ابن عبد الله أخذوا يدبرون أمرهم، حيث قام الجنرال راندون بتجنيد ثلاث فرق لمحاربته من وهران ومعسكر والمدية، الأولى بقيادة الجنرال يوسف تمركزت في الجلفة منذ عام1852، والثانية بقيادة بيليسي(Pelicier) كانت متمركزة بالبيض، والثالثة بقيادة "ماكماهون" (Mac-Mahon) كلفت بحماية منطقة بسكرة والواحات الشرقية وقسنطينة.[3]

وفي يوم 04 أكتوبر خاض محمد بن عبد الله وأتباعه معركة كبيرة في الرق قرب غدير مزي ضد القوات الفرنسية وقتل منها 200رجل، وغنم منها حوالي 20ألف رأس غنم، وألفي جمل، واستقبل محمد بن عبد الله من طرف سكان الأغواط استقبال الفاتحين[4].

تأثر الفرنسيون من هزيمتهم أمام ابن عبد الله فاستقدموا نجدات أخرى من البيض بقيادة بيليسي، وشنت هجوما على مدينة الأغواط يوم 04 ديسمبر، كانت في منتهى الضراوة والوحشية ولعدم تكافؤ القوتين في العدد والعدة، قتل حوالي 800شخص من الجزائريين، وقد أباح الفرنسيون المدينة لجنودهم مدة 8 أيام، يقتلون الناس بالجملة ويرمون بجثثهم في الآبار، ويمارسون الاعتداء على عفاف النساء.[5]

---

[1] يحي بوعزيز: نفس المقال، ص130.

[2] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص106-107.

[3] سعيد بورنان : المرجع السابق، ص160.

[4] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص107.

[5] سعيد بورنان : المرجع السابق، ص160.

ونتيجة للجروح التي أصيب بها محمد بن عبد الله توقف نشاطه بعض الوقت إلى أن شفي من جروحه، وعاد إلى النشاط ابتداء من شهر فيفري1853[1]، وحرض الفرنسيون ضده آغا أولاد نايل الشريف بن الأحرش والخليفة سي حمزة ولد سيدي الشيخ، ولكن ابن عبد الله وجد في ابن ناصر بن شهرة نعم الرفيق في الكفاح.[2]

استمرت الحروب والمناوشات بين محمد بن عبد الله وبين القوات الاستعمارية، فكان كلما جمع الأنصار والسلاح هاجم مراكز القوات الفرنسية، وكلما ضعفت قواته وقل مدده انزوى داخل الصحراء أو اتجه إلى تونس.

وكان ابن عبد الله في هذه المدة يحارب على جبهتين: جبهة الفرنسيين وجبهة العملاء، وكان الباشاغا بوبكر بن حمزة ولد سيدي الشيخ أحد هؤلاء العملاء ،فقد ظل هذا الأخير يطارد ابن عبد الله إلى أن اعتقله سنة1861 وسلمه للسلطات الفرنسية، وقامت هذه الأخيرة بوضعه في سجن عسكري بفرنسا.[3]

غير أنه استطاع أن يفر من السجن ويظهر مرة أخرى في الجزائر بعد اندلا ع ثورة سيدي الشيخ عام1864، فانضم إليها وظل يكافح إلى أن اختلف معهم فانسحب مرة أخرى إلى تونس.[4] عاد مرة أخرى إلى الجزائر عندما اندلعت ثورة الحاج محمد المقراني والشيخ الحداد عام1871، فاتصل بابن شهرة في تقرت وبالشريف بوشوشة في ورقلة، وربط صلاته بأولاد خليفة الثائرين بناحية

تبسة والأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي قدم متخفيا من طرابلس عبر نفطة ونفزاوة ليتزعم الثورة في منطقة الحدود الشرقية.[5]

وفي يوم10سبتمبر1871 اشترك محمد بن عبد الله مع أولاد خليفة في مهاجمة واحة ليانة بالزاب الشرقي، كما قاد يوم 20سبتمبر معركة على نقرين، وفي أواخر هذا الشهر خاض معركة "الركيز" ضد قوات فرنسية وهزمها بحيث لم ينجح من أفرادها إلا عدد قليل منهم الكابيتان "لوفرو" "Lefroid" بعد وصول نجدة سريعة من الشريعة[6].

---

[1]سعيد بورنان : نفسه، ص100.

[2]يحي بوعزيز : ثورات القرن العشرين، المرجع السابق، ص160.

[3]العربي منور: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص201. وينظر كذلك: عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التارخ إلى1962 الجزائر عامة،دار المعرفة،ج1،2006.

[4]سعيد بورنان : المرجع السابق، ص161.

[5]سعيد بورنان، المرجع السابق، ص162.

[6]يحي بوعزيز: ثورات القرنين، ج2، المرجع السابق، ص163.

وفي يوم12أكتوبر1871 اتجه إلى منطقة الكاف التونسية بعد أن ضعف أمره وقل أتباعه، فاعتقله باي تونس وسجنه عام1876، ثم أطلق سراحه[1].

توفي الشريف محمد بن عبد الله –رحمه الله- بالجنوب التونسي سنة1895م ودفن بقرية دوزر التونسية.

وهكذا كانت حياة الشريف محمد بن عبد الله كلها كفاحا وصراعا منذ نشأته إلى وفاته، وامتدت فترة كفاحه حوالي نصف قرن كامل وشملت الجزائر وتونس وطرابلس.[2]

ب/ مقاومة بن ناصر بن شهرة (1851-1875):

1- حياته:

ينتمي بن ناصر بن شهرة بن فرحات إلى قبيلة معامرة والحجاج الذين ينتمون بدورهم إلى الحرازلية أولاد حرز الله،

ولد عام1804 بالأرباع قرب ورقلة[3]، وكان أبوه بن شهرة وجده فرحات قائدين وشيخين على الأرباع[4].

وقد ذكر لويس راين (LOUIS Rinn) أن أصل عائلة بن شهرة من الساقية الحمراء جنوب الأطلس الصغير على المحيط الأطلسي[5].

حفظ بن ناصر بن شهرة القرآن منذ صغره وتعلم مبادئ الفقه على مشايخ الطريقة القادرية التي ينتمي إليها، وارتبط خاصة بشيخها أحمد الشاوي بالأغواط مما جعله خصما للطريقة التجانية وأتباعها[6].

---

[1] سعيد بورنان: المرجع السابق، ص162.

[2] يحي بوعزيز : ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895)، المقال السابق، ص142.

[3] يحي بوعزيز : ثورة ابن ناصر بن شهرة (1851-1875)، الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب، الأغواط، 23-24-25ماي1998، ص27.

[4] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، ج4، 1994، ص320.

[5] يحي بوعزيز: ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص27.

[6] إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص127.

وقد تزوج بن ناصر بن شهرة من ابنة خليفة وسلطان مدينة الأغواط أحمد بن سالم مما يدل على رفعة شأنه وشأن عائلته، ولكن عندما خضع صهره أحمد بن سالم للفرنسيين استنكر ذلك عليه وطلق ابنته لما رفضت أن تصحبه إلى أعماق الصحراء بعيدا عن السلطات الفرنسية[1].

2- بداية جهاد بن ناصر بن شهرة:

في5سبتمبر1851، كان ابن ناصر بن شهرة وقبائل الأرباع تحت الإقامة الجبرية قرب معسكر بوغار، لكنه توجه إلى الشهبونية حيث لحقه الملازم اليهودي كروس برفقة عدد من فرسان الصبايحية، واتصل به للمفاوضة لكنه لم ينجح حيث جردهم ابن ناصر وأخوه أبو بكر من أسلحتهم وألبستهم العسكرية[2].

وفي هذا الوقت كان الشريف محمد بن عبد الله قد عاد من المشرق واستقر بالرويسات وبدأ حركته الثورية[3]، فاتصل به بن ناصر بن شهرة من أجل تنسيق العمل معه ضد الفرنسيين، ثم رجع إلى الشمال الشرقي واستولى في يوم31جويلية1852 على قرية قصر الحيران وحصنها[4]، ويومئذ اتصل به أعيان رجال الصحراء أمثال يحي بن معمر أحد شيوخ الأغواط، والشريف ابن الأحرش –الذي كان خليفة الأمير عبد القادر ثم صار باش آغا على عشائر أولاد نايل- وكان هذا اللقاء في مكان اللقحات في أرض الشبكة قرب بريان[5]، ولكن لم تنجح هذه هذه المفاوضات[6]، وذهب ابن ناصر بن شهرة مع شيخ ورقلة محمد بن عبد الله إلى مدينة القرارة للتسليح والتموين.[7]

وبعد أن تمكن الجيش الفرنسي من احتلال الأغواط سنة1852 وورقلة سنة1853 بمساعدة سي حمزة ولد سيدي الشيخ[8]، التجأ إلى نفطة وتوزر، وكتب رسالة إلى الداي محمد باشا أحاطه علما بالتجائه هناك، وبأنه قد قد وجه إليه سي النعيم، وبعض رفاقه لزيارته، وطلب منه أن يستوصي بهم خيرا لدى الأعراش وقال له: "ونحن

---

[1] يحي بوعزيز: ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص28.

[2] أحمد بوزيد قصيبة : ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة1871، الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي، الأغواط 23-24-25ماي1998، ص51.

[3] يحي بوعزيز : ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص29.

[4] سعيد بورنان : المرجع السابق، ص151.

[5] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص321.

[6] أحمد بوزيد قصيبة: المقال السابق، ص52.

[7] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص322.

[8] يحي بوعزيز: ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص30.

مهاجرين استوصي (كذا) بنا خيرا (كذا) جميع الرعايا كأعراش الهمامة وغيرهم لأننا خارجين (كذا) من بلادنا في طاعة الله ورسوله، ولا يخصنا في بلادنا حرمة، إلا من خلال الدين"[1].

ومتن بن شهرة صلاته باللاجئين الجزائريين بتونس، وأخذ يشن الغارات المتوالية ضد القوات الفرنسية وأعوانها، وطلب الباي محمد الصادق وزيره خزندار أن يعمل على اعتقاله هو ورفيقه محمد بوعلاق اليعقوبي[2].

3- دور ابن ناصر بن شهرة في ثورة1864:

وعندما اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ في صيف عام1865، عاد ابن ناصر بن شهرة إلى الجزائر متخفيا ودخل إلى ورقلة واتصل "بسي الأعلى"[3]، وكانا يوم 6 أوت من نفس السنة على رأس جيش من الفرسان يبلغ عدده 15000فارسا، وتقدموا إلى أرض طاقين وهناك وقعت معركة بينهم وبين جيوش الاحتلال، وفي يوم21أكتوبر من نفس السنة انتقل ابن شهرة صحبة مرافقيه من أولاد سيدي الشيخ والأرباع إلى ناحية واد النساء جنوب بريزينة للاتصال بالزعيم سيدي الحاج الدين بصحراء الساورة إلا أن القوات الفرنسية قامت بقطع صلتهم عن القوافل.[4]

وخلال عام1865 رجع ابن شهرة مرة أخرى إلى ورقلة بصحبة "سي الأعلى" وفي العام الموالي توجها معا بصحبة سي الزبير وسي أحمد ولد حمزة إلى المنيعة وعين صالح لتجنيد الناس إلى الثورة، من التوات والشعانبة والطورق.[5]

4- دور ابن ناصر بن شهرة في حركة بوشوشة:

وعندما بدأ الشريف بوشوشة حركته في عام1869 اتصل به بن ناصر بن شهرة وعملا معا على تنسيق جهودهما في ميدان الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي.[6]

---

[1] يحي بوعزيز : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص524.

[2] يحي بوعزيز: ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص31.

[3] سعيد بورنان : المرجع السابق، ص151.

[4] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع اليابق، ص322.

[5] يحي بوعزيز : ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص32.

[6] سعيد بورنان: المرجع السابق، ص152.

وخلال كفاحه بالجزائر لم يقطع صلاته بتونس وبالأحرى نفطة وتوزر بمنطقة الجريد، وكان كثير التردد إلى هناك لجمع الأنصار وتدبير الخطط وتوفير الذخائر والمؤن، حيث كانت له علاقة مع اللاجئين الجزائريين أمثال أولاد الطيب بن عمران الشعانبي من الواد، ومحمد بن بوعلاق رئيس أولاد يعقوب، الذين كانوا ثائرين ومتمردين منذ عشرين عاما ولهم صلات متينة بزاوية نفطة الرحمانية وبرئيسها مصطفى بن عزوز، عدو الفرنسيين منذ عام1849، الذي حول زاويته إلى ملجئ للاجئين والمطرودين الجزائريين.[1]

5- دور ابن ناصر بن شهرة في ثورة1871:

وفي عام1871 اندلعت ثورة الحاج محمد المقراني والشيخ الحداد، انضم إليها بن شهرة مع عدد من رفاقه المنفيين، وكانت جبهة عمله بالصحراء الشرقية، وهو الذي مهد السبيل للأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر، عندما قدم إلى منطقة الحدود في أوائل عام1871[2].

بينما كان بوشوشة يقود ثوار الشعانبة المواضي وشعانبة متليلي، وشعانبة طرود وسوافة، وذكر "رين" أن ابن ناصر بن شهرة نشط في كتابة الرسائل إلى معظم زعماء سكان الصحراء الشرقية، يستحثهم لحمل السلاح واللحاق به وبمحي الدين ويبشرهم بقدوم جيش عسكري من قبل السلطان العثماني لتخليص الجزائر[3].

استقر بن شهرة مع الأمير محي الدين بعين صالح ومعهما ثوار الصحراء الشرقية، وهناك التقت جيوشها بجيوش الشعانبة بقيادة بوشوشة وثوار أولاد سيدي الشيخ بزعامة سي الزبير[4].

وبذلك انتشرت الثورة من مناطق الساحل والجبال إلى أعماق الصحراء، حيث استولى ابن ناصر على تقرت وورقلة واستولى الأمير محي الدين على نقرين وتبسة[5].

وفي أثناء ذلك كان استشهاد الحاج محمد المقراني في5ماي1871 وألقي القبض على الشيخ الحداد في جويلية من نفس العام، وضيق الفرنسيون الخناق على الثوار في الشمال ففر بومرزاق يوم 20 جانفي قرب الرويسات.[6]

---

[1] يحي بوعزيز: ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص33-34.

[2] سعيد بورنان: المرجع السابق، ص152.

[3] يحي بوعزيز: ثورة ابن ناصر بن شهرة، المقال السابق، ص34-35.

[4] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع اليابق، ص323.

[5] عبد الرحمن الجيلالي: نفسه.

[6] سعيد بورنان: المرجع السابق، ص153.

كان لابن شهرة الفضل في قيادة باقي المقرانيين وتمكينهم من الدخول إلى أرض تونس، وكان الجيش الفرنسي قد سيطر على مدينتي تقرت وورقلة، وتفرق المجاهدون في أنحاء البلاد فمنهم من لجأ إلى تونس ومنهم من ذهب إلى طرابلس الغرب (ليبيا) بينما بقي ابن ناصر بن شهرة وحده ينازل جيش الاحتلال[1]، وأخذ يواصل المناوشات من الجريد ونفزاوة إلى أن أرغمه باي تونس على الرحيل، فركب الباخرة مع الشيخ محمد الكبلوتي يوم2 جوان1875 من مرسى حلق الواد إلى بيروت، واستقر إلى جانب محي الدين بعض الوقت ثم التحق بالأمير عبد القادر بدمشق إلى أن توفي عام1884، بعد عام من وفاة الأمير عبد القادر[2].

ج/ ثورة محمد التومي بوشوشة[3](1864-1875):

1_الظروف:

امتدت حياة بوشوشة العسكرية من وسط الستينات إلى وسط السبعينات وأبرزها كان بين (1871-1874)، كان ظهوره نتيجة ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة1864، وسخط الأعراش والأعيان من مرسوم سنة1863، والمجاعة الكبيرة (1867-1868).[4]

بالإضافة إلى الانقلاب الذي قام به الفرنسيون ضد النظام الامبراطوري، وإعلانهم عن قيام الجمهورية الثالثة في 4سبتمبر1870، وانعكاساته على الأوضاع السياسية في الجزائر، ووقوع فرنسا فوضى وتطاحن بين المدنيين والعسكريين حول الحكم، ووصول محي الدين بن الأمير عبد القادر رفقة ابن ناصر بن شهرة إلى نفطة بتونس، وكان ذلك في نوفمبر1870[5]، أضف إلى ذلك أحداث الأوراس وسوق أهراس، ثم انتفاضة المقرانيين والرحمانيين والرحمانيين أوائل سنة1871، كلها قد ساهمت في دعم حركة بوشوشة.[6]

---

[1] سعيد بورنان: نفسه، ص153.

[2] أحمد بوزيد قصيبة: المقال السابق، ص69.

[3] -اسم بوشوشة هو محمد بن التومي بن إبراهيم، ولقب بوشوشة لكثافة شعر رأسه أو لخصلة بارزة منه، ولد في بلدية الغيشة في جبال عمور فاكتسب الحيوية وصفاء الذهن والصحة والشجاعة، وقد يكون من مواليد آخر الثلاثينات (1839)، وقد مارس مهنة الرعي، وكانت مهنة الرعي من أهم المهن في تربية القيادة والمسؤولية، أنظر: بشير بلاح: المرجع السابق، ص277-278.

[4] -أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، عالم المعرفة، الجزائر، ج1، 2011، ص276.

[5] -رضوان شافو: المرجع، ص91.

[6] -أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية1860-1900، ج1، المرجع السابق، ص276.

كما أن النزاع العائلي الذي كان على أشده حول السلطة والنفوذ بين أسرتي بوعكاز وبن قانة، والذي انحصر في نزاع سياسي بين المقاومة وممثليها من جهة وبين العدو وأنصاره من جهة أخرى.

2_بداية حركة بوشوشة:

اقترن ظهور بوشوشة بالصحراء بنشأة ما يسمى بـ"جماعة المداقنة"[1] في الصحراء منذ مطلع الستينات، وقد تمركز بوشوشة في بداية أمره بواحة عين صالح وأعلن نفسه زعيما وشريفا لها.[2]

في عام1867 حدثت مجاعة واضطر الناس إلى أكل جذور الأعشاب والأفاعي[3]، واضطر الكثير منهم إلى الهجرة خارج منطقتهم، ومارس بعضهم الإغارة على أملاك الغير، حيث مارست هذه الجماعة السطو والنهب، وكان بوشوشة ضمن هذه الجماعة، وهذا ما جعل الفرنسيون ينظرون إلى بوشوشة نظرة رجل متمرد على السلطة الفرنسية وأحد قطاع الطرق.[4]

وفي5مارس وصل بوشوشة إلى أنقوسة فوجد مقاومة من طرف سكانها، فاتجه في نفس اليوم إلى ورقلة ودخلها بدون مقاومة نظرا لوجود عدد من المؤيدين له بها، وكانت ورقلة آنذاك تابعة لآغوية علي باي من عائلة بوعكاز، وبعد أن سيطر بوشوشة على ورقلة عين عليها ابن ناصر بن شهرة آغا لتكون قاعدته الثورية للهجوم على الفرنسيين.[5]

وفي8مارس1871 اتجه بوشوشة إلى قمار[6]، فقاومه شيخ الزاوية التجانية محمد الصغير بن الحاج كما طلب منه السوافة الرحيل من قمار مقابل منحه مبلغا من المال، فتجنب بوشوشة الصدام معهم ورحل إلى مويت القائد، وقد راسله عدد من الشيوخ والزعماء التابعين لصف بن قانة وعرضوا عليه مساعدتهم له في الهجوم على تقرت والقضاء على سلطة ونفوذ علي باي وتصفية قواته بها.

---

[1]–أول منأطلق هذه التسمية هو "معطي الله بوظفرالشعانبي"، حيث اتهم معطي الله أحد زعماء الشعانبة وهو بو بكر بن عبد الكريم فقال "إنكم سراق تعتدون على من يفعل معكم الخير فأنتم مثل الطوارق (مدقنات)"، وبقيت التسمية بعد ذلك على الجماعة التي دأبت على اختراق الصحراء، أنظر: يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة (1869–1874)، الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب، وزارة المجاهدين، الأغواط، 23–24–25ماي1998، ص148–149.

[2]–رضوان شافو: المرجع السابق، ص94.

[3]–يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة، المقال السابق، ص148.

[4]–رضوان شافو: المرجع السابق، ص94.

[5]–يحي بوعزيز : ثورة الشريف بوشوشة، المقال السابق، ص150–151.

[6]–رضوان شافو: المرجع السابق، ص95.

وكان علي باي في هذه الفترة معسكرا بعين الناقة بجوار السيد الموهوب ابن شنوف فبعث مجموعة من القوم إلى الزاوية ووجه زمالته إلى الزيبان حتى يبعدها عن الأخطار.[1]

وعندما وصل بوشوشة إلى تقرت في13ماي ثار أهلها ضد الحامية الفرنسية ومن معها، وجرى اقتتال دام يومين (14-15ماي) وحدثت معركة كبيرة انتهت بمقتل الحامية ورئيسها الضابط موصلي، واحتل بوشوشة تقرت ونصب عليها أحد أنصاره قايدا وهو سلمان، أما علي باي فقد لجأ إلى بسكرة التي وصلها يوم27ماي[2]، وحاول أن يحتج لدى الحاكم الفرنسي ضد عائلة بن قانة، التي اتهمها بالتواطؤ مع بوشوشة وأتباعه في احتلال ورقلة وتقرت، لكن الحاكم الفرنسي اتهمه بالإهمال وتوعده بتقديمه إلى المحاكمة[3]، فاتجه إلى واحة انسيغة التي يتمركز فيها أتباع بن قانة، ثم تقدم إلى المغير التي فر منها أهلها فقام بسلب كل ما وجده بها من أمتعة وأثاث، وفي طريقه إلى تقرت وجد كلا من القرى: تمرنة، الزاوية العابديةوتبسبست والنزلة خالية من سكانها الذين فروا إلى تقرت بسبب انعدام الأمن.[4]

وعندما وصل علي باي إلى تقرت فرض عليها الحصار بأتباعه من أولاد عمر وأولاد بن زكري وأولاد نايل، وهاجمها يوم8جويلية وجرت معركة كبيرة خسر فيها الطرفين عدد كبير من القتلى والجرحى واضطر أن ينسحب منها بعد عودة بوشوشة، وحصلت بينهما معركة كبيرة يوم10جويلية، وانسحب علي باي إلى بسكرة يوم13جويلية تاركا واد ريغ.[5]

وبعد أن عاد بوشوشة إلى تقرت أخذ ينتقل بينها وبين الدوسيين وغيرهما من قرى المنطقة رفقة ناصر بن شهرة لكسب أنصار جدد، فأخذ يدعو الناس لتأييده والانضمام إلى حركته، وحاول أن ينتقم من أولاد زكري الذين ساعدوا علي باي في أحداث تقرت[6] فاستمال إليه ثلاث شخصيات من أولاد جلال ليساعدوه على ذلك وهم: الطيب المومسمي والبشاغا بن محلة، ومحمد بن الحاج عمر[7]، إذ جرت ثلاث معارك معهم، إلا أن بوشوشة لم يفلح في النيل منهم وفقد عدد من أنصاره.

---

[1]-يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة، المقال السابق، ص151-152.

[2]-أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص280.

[3]-يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة، المقال السابق، ص153.

[4]-رضوان شافو: المرجع السابق، ص100.

[5]-يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة، المقال السابق، ص154.

[6]-رضوان شافو: المرجع السابق، ص101.

[7]-يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة، المقال السابق، ص154.

3_مرحلة التقهقر والانهزام:

حسب "لويس رين" فإن بداية تراجع وتقهقر بوشوشة في المنطقة تعود إلى حربه مع أولاد زكري، الذين كانوا سببا في تزعزع هيبته ونفوذه، كما أن هذه الظروف ساعدت على قدوم القوات الفرنسية من الشمال إلى المنطقة دون صعوبة تذكر، وجندت السلطات الاستعمارية كل قواتها لمقاومة الشريف بوشوشة ولاسيما عند إخمادها انتفاضة "المقراني والشيخ الحداد"، وأعطيت الأوامر للجنرال "دولاكروا" "Delacroix" بالزحف على تقرت للقضاء على بوشوشة.[1]

بعدما سيطر الجنرال دولاكروا على تقرت في27ديسمبر1871 والتي بقيت تحت سلطة بوشوشة ما يقرب ثمانية أشهر عين الملازم "بن ادريس" قائدا على المنطقة لمدة أربع سنوات خلفا لعلي باي، كما عين "حمو بن حرز الله الداودي" من أولاد زكري، قائد على المنطقة الشمالية لوادي ريغ.

وفي28ديسمبر كلف الجنرال دولاكروا القائد "روز" Rose، وهكذا أعاد الجيش الفرنسي احتلال منطقة وادي ريغ.[2]

ومن هناك اتجه بوشوشة إلى جنوب شرق عين صالح، إلى أن وقع أسيرا في معركة الميلوك يوم4مارس1874 جنوب عين صالح، وأقتيد مع مجموعة من المعتقلين من طرف "بعج بن قدور" أحد رجال "السعيد ابن ادريس" إلى ورقلة عاصمته الأولى في بداية ثورته[3]، ثم نقل إلى سجن قسنطينة حيث قدم إلى المحاكمة، فصدر الحكم عليه عليه بالإعدام الذي نفذ فيه بتاريخ29جوان1875 بمعسكر الزيتون بقسنطينة.[4]

المبحث الثاني: المقاومة في الجنوب الغربي:

أ/ معركة الفقيقيرة:[5]

لقد فتحت البعثة العلمية للأستاذ "فلامون" إلى عين صالح آفاقا واسعة أمام المشروع الاستعماري الفرنسي، وأمام التكالب الأوروبي على إفريقيا من أجل تقسيمها وإخضاعها للهيمنة الغربية.[1]

---

[1]–رضوان شافو: المرجع السابق، ص101.

[2]–رضوان شافو: نفسه، ص102–103.

[3]–يحي بوعزيز: ثورة الشريف بوشوشة، ص161–162.

[4]–عمار بوحوش: المرجع السابق، ص146.

[5]تقع الفقيقيرة غرب فقارة الزوى تبعد عن عين صالح بحوالي20كلم، وتقع بالقرب من قرية إكسطن وهي من القرى القديمة بتلك الناحية، أنظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، د د ط، الجزائر، 2011، مج2، ص8.

انطلقت هذه البعثة في خريف1899، وأخذ المشروع طابعا علميا لاكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية وإمكانيات مياهها الجوفية وغيرها، إلا أنها تحولت في الأخير إلى حملة عسكرية شرسة.

وبعد أن اكتشف أهالي عين صالح ونواحيها نوايا هذه البعثة، فاستعدوا للكفاح والمقاومة وبادروا بالتحضيرات اللازمة للمعركة[2]، ولما علم أهل عين صالح بهذا الحدث تجمعوا بقيادة الحاج المهدي باجودة، وكان في اعتقادهم أنهم منتصرون[3].

وصل المجاهدون إلى "الفقيقيرة" يوم28ديسمبر1899، وكانت إستراتيجية المقاومين تقتضي الاقتراب من العدو لأن السلاح المستعمل يتطلب الالتحام مع العدو عن قرب، وقدرت قوة المجاهدين بحوالي ألف ومائتي (1200) رجل برئاسة الزعيم الحاج "المهدي باجودة"، وتقدموا بكل ثبات نحو العدو مما جعل القوات الفرنسية تظن أن المجاهدين يتقدمون من أجل التفاوض أو إبرام الصلح لهذا لم تحرك ساكنا.[4]

إلا أنه حدث ما كان سببا في نشوب المعركة قبل أن يتمكن المجاهدون من التنظيم، قام رجل يسمى "قوفا" وأطلق بندقية[5]، وقد سميت هذه الطلقة منذ ذلك الحين إلى اليوم باسم "عمارة قوفا".

اندلعت معركة "الفقيقيرة" كأول اشتباك ما بين قوات البعثة العلمية والاستكشافية التي تحولت إلى رأس حربة، لتحقيق مشروع فرنسا التوسعي في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، والمتضمنة حوالي[6] 700جندي مجهزين بأحدث الأسلحة، لذلك لم يستطع المجاهدون مقاومة الفرنسيين.[7]

استمرت المعركة إلى حدود الساعة العاشرة صباحا، حيث جرح قائد المجاهدين الحاج المهدي باجودة جروحا بليغة، ولما علم المجاهدون بهذا الخبر اضطربت صفوفهم واغتنم الفرنسيون ذلك بتكثيف نيرانه ليرجح الكفة لصالحه.[8]

---

[1]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص458.

[2]إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، د م ن، دار مدني، 2009، ص104.

[3]محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص9.

[4]إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص105.

[5]محمد باي بلعالم : المرجع السابق، ص90.

[6]إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص461.

[7]محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص9.

[8]إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص106.

ومن شهداء هذه المعركة: الحاج المهدي باجودة، وأخوه بوعمامة، وسيدي بابا من عين صالح، وديدي محمد العربي، وبشير محمد الدهنة من إينغر.[1]

وقد نتج عن هذه المعركة استشهاد خمسين (50) شهيدا وجرح ما لا يقل عن150 ثائرا، وأسرت القوات الفرنسية 64 مجاهدا.[2]

بالإضافة إلى الخسائر المادية المتمثلة في فقدان 99جملا، وما يقارب500قطعة سلاح كغنائم حرب.[3]

أما في صفوف القوات الفرنسية فإن أرقام ضحاياها متضاربة وذلك حسب مصادرها، ولم تذكر الضحايا العرب المتعاونين معها، وأوردت أن الجيش الفرنسي لم يفقد سوى قتيلا واحدا وجرح14 فقط.[4]

ب/ معركة الدغامشة:

لما تمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى عين صالح، تمركزت في قصبة باجودة، وانضم سكان "إينغر" وبقية القصور المجاورة "كإقبلي" و"تيط" و"أولف" إلى بقية الأهالي لصد العدوان الفرنسي.

وصلت النجدات من كل الجهات بعدما سمعوا بوحشية المعركة الأولى وأرادوا الانتقام لشهداء معركة "الفقيقيرة".[5]

تجمع المجاهدون بـ"إينغر" التي تبعد عن عين صالح بحوالي خمسة وستين كلم، وبدأ الزحف بقيادة "الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس" يوم4جانفي1900، بقوة تقدر بأكثر من ألف مجاهد متمركزين بقرية "البركة" التي تبعد عن عين صالح بحوالي خمس كيلومترات من الجهة الغربية، وقضوا ليلتهم هناك يتشاورون في وضع خطة للدفاع[6]، وفي خلال ذلك دخل من بينهم عملاء وجواسيس فاسترقوا السمع وبلغوه لقوات الاحتلال الاحتلال فتحصنت القوات الفرنسية بالكثبان الرملية الواقعة جنوب غرب عين صالح، قبل وصول المجاهدين لمنطقة مكشوفة لا جبال فيها ولا شجر وهي منطقة الدغامشة، واختلف رأي المجاهدين في وقت الهجوم، فمنهم

---

[1] محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص9.

[2] إبراهيم مياسي : المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص106.

[3] تواتي دحمان وآخرون: المرجع السابق، ص15.

[4] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق.

[5] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص463.

[6] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص107.

من يرى مفاجأة العدو والهجوم على مركزه بعين صالح ليلا، بينما يرى البعض الآخر أن المعركة يجب أن تكون نهارا.[1]

انطلق المجاهدون في الصباح الباكر يوم5جانفي1900 باتجاه عين صالح، وعند اقترابهم من منطقة الدغامشة باغتهم العدو بنيرانه فنشبت معركة استمرت يوما كاملا، غير أن الموقع الاستراتيجي للقوات الفرنسية وعدم تكافؤ الأسلحة ووجود المجاهدين بأرض مكشوفة رجح كفة الفرنسيين فكثفوا نيرانهم بعدما حاصروا المجاهدين[2]، ومما زاد في تقهقر المجاهدين انفجار برميل البارود في خضم المعركة، إذ كان لاشتعاله الأثر البالغ على سير المعركة، حيث كان يتم استعمال بنادق الشفرة التي تعتمد على مسحوق البارود الذي نفد[3]، لذلك انكسر صف المجاهدين نتيجة قلة التجربة وبدائية الأسلحة وغدر وخيانة العملاء أصحاب النفوس الضعيفة، فانسحب المجاهدون من الميدان لمعاودة الهجوم بعد استنفار النجدات من القصور المجاورة، والتصدي مرة أخرى للعدو، وقد خلفت هذه المعركة أكثر من150شهيد و200جريح[4].

بعد هذه المعركة تعرضت البعثة لهجومات متكررة طيلة مكوثها بالقصر الكبير، وقام الوالي العام "لافريار" بتدعيمها بقوات إضافية فأمر الرائد "بومقارتن" (Boumgartin) القائد الأعلى لدائرة المنيعة بالتحرك نحو عين صالح على رأس الفرقة العسكرية الصحراوية المتكونة من 150جندي و150من رجال "القوم" وذلك للسيطرة نهائيا على المنطقة[5].

وصلت الفرقة إلى القصر الكبير يوم18جانفي1900، واندمجت مع بعثة "فلامون" وتمكنت من مواصلة سيرها وبسط نفوذها على كامل "عين صالح".

وبهذا وقعت عين صالح وما جاورها من واحات تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي وهي تتمتع بأهمية استراتيجية لأنها تقع على مسافة متساوية ما بين الجزائر شمالا وتمبكتو جنوبا ومقادور غربا وطرابلس غربا، وهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط شمال القارة بالسودان، فضلا عن كونها من المراكز الممتازة لتمويل الطوارق[6].

---

[1] محمد باي بلعالم : المرجع السابق، ص10.

[2] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص107.

[3] محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص10.

[4] إبراهيم مياسي : المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص108.

[5] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص465.

[6] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص109.

هكذا حرصت فرنسا على تنفيذ هذه الخطوة الحاسمة في التوسع نحو الجنوب الغربي، فأصدر الوالي العام تعليماته إلى الرائد "بومقارتن" لإتمام هذا الإنجاز، وأمره باحتلال "عين غار" غرب عين صالح.[1]

ج/ معركة عين غار (إينغر):

كلف الرائد بومقارتن الملازم كلوستر (Claustre) بتسيير طليعة من 100فارس لاستكشاف واحات إينغر التي ظلت مستعصية، كما أرسلت حملة أخرى بقيادة العقيد "أو" (Eu) وذلك بعد رفض سكان تيدكلت وتوات وتيجورارين الاستجابة لرسالة الاستسلام التي وجهتها القيادة الفرنسية بتاريخ31جانفي1900.[2]

أما المجاهدون فقد بعثوا بمراسيل إلى المناطق المجاورة منها: تيط، إقبلي، أولف، رقان، سالي، تسابيت، تيمي، تيميمون وغيرها، يخبرونهم بالأحوال والأوضاع الخطيرة ويطلبون منهم الاستعداد للقتال.[3]

وقام باشا تيمي "إدريس بن الكوري" بجمع المجاهدين في منطقة توات وفرض ضريبة بغرامة تقدر بمائة دورو على المتخلفين على القتال حيث جمع ما يقارب 1300مجاهد[4]، وتوجه بهم إلى عين غار التي دخلها يوم14فيفري1900.

جمع الفرنسيون قواتهم بعين صالح يوم14مارس1900، وشكلوا طابورا قويا يتكون من1150 سيفا ومدفعين وتوجهوا نحو إينغر تحت قيادة العقيد "أو"[5]، ولما علم الباشا بذلك استعد للخروج على رأس فرقة صغيرة ليتحسس الموقف ويراقب قدوم الفرنسيين، وكان يعتقد أن القوات الفرنسية حينما تراه تتوقف احتراما له باعتباره موظفا ساميا مغربيا، لكنه حدث أن فاجأته فرقة من الصبايحية قرب عين طارق التي تبعد ب14كلم عن شرق إينغر، وأطلقت عليه النار، وعلى إثر ذلك فر إلى إينغر.[6]

ولما وصلت القوات الفرنسية إلى إينغر يوم18مارس1900 سارع المجاهدون إلى التحصين بالكثبان الرملية التي تحيط ببساتين النخيل من الشرق، وفي صبيحة يوم19مارس من نفس السنة، نشبت المعركة وحاولت القوات الفرنسية زعزعة الصفوف الأمامية للمجاهدين، ثم عزز القائد الفرنسي هجومه بدفع المشاة للتقدم لتطويق

---

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص467.

[2] تواتي دحمان وآخرون: المرجع السابق، ص17.

[3] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص471.

[4] محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص13.

[5] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص113.

[6] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص172.

الكثبان مع إطلاق النار على المقاومين بالغابة، الأمر الذي اضطرهم إلى الانسحاب والاحتماء بالحصون، فقد توجه قسم منهم إلى قصبة أولاد حادقة (المرابطون) وإلى المسجد والقسم الآخر إلى قصبة أولاد أحمد جلول (العرب) لتنظيم الدفاع.[1]

غير أن القوات الفرنسية استعملت سلاح المدفعية، وتمكنت من فتح ثغرات بالقصبة، وكانت هنالك مقاومة من طرف المجاهدين، غير أن شدة القصف مكنت العدو من تحطيم القصبة الشمالية (قصبة العرب) بأكملها في حين واصل المجاهدون قتالهم من البساتين والمسجد والمنازل المجاورة، وبعد تحطيم القصبة الأولى، ركزت القوات الفرنسية قصفها على القصبة الثانية (قصبة المرابطين)، وقامت بعدة محاولات لاقتحام القصبة ووجدت مقاومة من طرف المجاهدين بقيادة زعيم الثوار "عزي الحاج محمد"[2].

تمكنت القوات الفرنسية من تحطيم قصبة المرابطين بواسطة القصف المدفعي، حينها طلب الباشا إدريس من زعيم الثوار "غزي الحاج محمد" الاستسلام، إلا أنه رفض ذلك وفضل الجهاد إلى أن سقط شهيدا داخل القصبة، وبعد ذلك رفع باشا تيمي الراية البيضاء لتتوقف المعركة.[3]

أسفرت معركة إينغر على أكثر من 500 شهيد وما يفوقها عدد الجرحى وخسائر مادية فادحة[4]، أما الجانب الفرنسي فكانت خسائره معتبرة، غير أنه يقلل منها دائما، وحسب مصادره فإن الفرنسيين قد قتل منهم 11جنديا وجرح44 بما فيهم صاحب المصدر وهو الملازم "فوانو" (Voinot).[5]

وبعد هذه المرحلة من خضوع إينغر توجهت القوات الفرنسية إلى "تيط"، حيث دخلتها يوم23 مارس من نفس السنة، وبعد يومين من ذلك سقطت أقبلي، فأولف وهكذا تمت لفرنسا السيطرة على معظم قصور المنطقة.[6]

المبحث الثالث: المقاومة في الجنوب الشرقي:

---

[1] إبراهيم مياسي : نفسه، ص172-173.

[2] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص114.

[3] إبراهيم مياسي : نفسه، ص114.

[4] محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص12.

[5] إبراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص115.

[6] تواتي دحمان وآخرون : المرجع السابق، ص17-18.

شهدت منطقة التوارق سلسلة من الاغتيالات للجواسيس والمغامرين الأوروبيين في الصحراء[1]، وقد مهد مقتل فلاترس ورفاقه، لمجموعة من الاغتيالات للأوروبيين في الصحراء من طرف الطوارق، ومنهم الرهبان الثلاثة: ريتشارد (Richard)، وبوبلار(Pouplard)، وموراMORAT)قرب غدامس عام1881، والضابط بالا (Palat) عام1886، والضابط كاميل دول (CAMILE Douls) عام1889 بين أولف وأكابلي، وقرامبل(Grampel)والماركيز موري (Le marquis Morée) قرب غدامس.[2]

أ/ مقاومة طوارق الهقار:

من أولى المعارك الكبرى التي خاضها توارق الهقار ضد الاستعمار الفرنسي معركة "وادي إن هاون" التي جرت في1881 قرب تين ترابين (ناحية تمنراست)، حيث مات فيها ضابط فرنسي برتبة عقيد، وقد حدثت في عهد الأمينوكال (أهيتاغل آق محمد بسكة)، الذي تمنى على الله ألا يرى وجهه المستعمر الفرنسي، فتوفي قبل دخول الفرنسيين منطقته[3].

1- معركة تيت7ماي1902:

كلفت الإدارة العسكرية الفرنسية الضابط كوتنيس للقيام بحملة تصب في مسعى الهيمنة على ما تبقى من أراضي الجنوب الجزائري.

توجهت حملة كوتنيس من منطقة أمقيد باتجاه إدلس شمال شرق منطقة الهقار، واستعمل الجيش الفرنسي سياسة الأرض المحروقة التي طبقها في الشمال، وكان هدف القائد كوتنيس هو إبادة كل كائن حي يتعرض لطريقه بالمنطقة، وإدخال الرعب في نفسية سكان الواحات والقبائل الرحل وتهجيرهم إلى خارج الحدود الجزائرية.[4]

---

[1] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص516.

[2] حيي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه، المقال السابق، ع،72ص ص :54 -55.

[3] عبد السلام بوشارب : المرجع السابق، ص102.

[4] أحمد مريوش: المقال السابق، ص130-131.

وتمكن كوتنيس من التوغل داخل الصحراء واستطاع الاستيلاء على منطقة "تازوروك" ومنها توجه صوب منطقة تين ترابين، وهناك اصطدم بالمقاومة التارقية التي كانت تقودها قبيلة آيت لوين، لكن عمر المقاومة لم يدم طويلا وتمكن الجيش الفرنسي من دحر المقاومة التارقية ،[1]ويعود ذلك إلى تفوق جيش الاحتلال في السلاح[2].

وهكذا توسعت الآفاق أمام الجيش الفرنسي ووسع من نفوذه ووصل إلى منطقة "وادي تيت"، وذلك خلال سنة1902، لكن الجيش الفرنسي وجد صعوبة أمامه مرة أخرى بعد أن تصدى له فرسان الطوارق في موقعة قارة تين آسيا.[3]

قضى الطوارق على القوات الفرنسية مع قائدها "كوتنيس" واستشهد فيها71تارقيا.[4]

بعد الدرس الذي لقنه الطوارق للسلطات العسكرية في معركة "تيت" تيقنوا أن التوغل في صحراء الهقار شبه مستحيل، لهذا التجأ النقيب كوفي (Cauvet) إلى الاتصال بموسى آق مستان للتفاوض معه نظرا لنفوذه الواسع لدى طوارق الشمال، وذلك من أجل التوسع الفرنسي في منطقة الهقار، بالطرق السلمية، ولهذا استدعاه إلى الانضمام مع الطوارق الذين تحت نفوذه إلى السلطة الفرنسية بالجزائر والخضوع لها[5].

المطلب الثاني: مقاومة الشيخ آمود

ولد الشيخ آمود بجانت سنة1858 وهو ينتمي إلى قبيلة إمانن[6] التي استوطنت منطقة جانت آتية من الساقية الحمراء ووادي الذهب[7]، تلقى تعليمه الأول في جانت حيث حفظ القرآن، ثم تنقل بين عين صالح وتمنراست أين تلقى مبادئ اللغة العربية وأصول الدين، هذه الثقافة التي أثرت في تكوين شخصيته وتشبعه بالأفكار التحررية والوطنية، وقد لعب دورا بارزا في تنظيم الحركة الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي[8].

وقد ألحقت مقاومة الشيخ آمود عدة هزائم بالجيش الفرنسي في الجزء الشرقي من الصحراء الجزائرية.

---

[1]أحمد مريوش ،نفسه،ص131.

2بشير كاشه الفرحي:مختصر وقائع ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر1830-1962 وزارة المجاهدين،طبعة خاصة ،2007،ص98.

[3]أحمد مريوش: المقال السابق، ص131.

[4]عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص102.

[5]إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص126.

[6]إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص138.

[7]بشير بلاح: المرجع السابق، ص208.

[8]إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص138.

ومن أهم معاركه ضد الاستعمار معركة بئر الغرامة عام1881 التي تم فيها القضاء على الضابط الفرنسي فلاترس.[1]

كما شارك الشيخ آمود في معركة "تيت" التي وقعت في نواحي تمنراست عام1902 رفقة جمع من المجاهدين، وقد تمكن التوارق من خلال هذا التعاون من إلحاق بفرنسا هزيمة كبرى.

وقد رفض الشيخ آمود معاهدة الصلح التي أبرمها (موسى آق مستان) مع قوات الاحتلال في21جانفي1904، وأصر على مواصلة الجهاد ضد المستعمر حيث قال قولته الشهيرة: "لن أضع يدي في يد الكفار لأنني أقسمت بالله ألا أنظر إليهم إلا بالقتال".[2]

وبعد أن بسطت السلطة الفرنسية نفوذها بمنطقة الهقار حاولت القوات الفرنسية التوغل في منطقة جانت في أول مسعى لها سنة1908، غير أن المقاومة بقيادة الشيخ آمود خيبت آمالها.[3]

ولما تمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى جانت سنة1909، اضطر الشيخ آمود ومن معه من الثوار إلى اللجوء إلى ليبيا، وانضم إلى جانب السنوسيين ضد الاستعمار الإيطالي.

وفي سنة1913 اصطدمت القوات الفرنسية من جديد بالشيخ آمود وثواره، فرغم تعزيز تواجدها بجانت تحت قيادة الجنرال "لابرين"، إلا أن الشيخ آمود واجهها في معركة "أسين" وهزمها مما جعلها تتراجع إلى منطقة الهقار[4].

ومن أجل السيطرة على الصحراء أرسلت فرنسا بعض الشخصيات ذات النفوذ المعنوي والروحي ومن ورقلة وعين صالح والمنيعة وتقرت إلى مناطق الهقار والطاسيلي قصد التفاوض مع زعمائها لإلقاء السلاح والاعتراف بالوجود الفرنسي مقابل كثير من الامتيازات، رفض الشيخ آمود هذه الإغراءات وفضل المنفى إلى غاية أن توفي بمنطقة الغريفة الليبية سنة1928، وإلى غاية سنة1914 تكون فرنسا قد مدت نفوذها إلى هذه المناطق[5].

---

[1] بشير بلاح: المرجع السابق، ص208.

[2] عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص103.

[3] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص534.

[4] –عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص104.

[5] –عميراوي حميدة: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص55.

لقد عانى الاستعمار الفرنسي من ويلات المقاومة الشعبية في مناطق الجنوب، ولعل من بين أهم الثورات الشعبية التي قاومت سياسة التوسع الاستعمارية مقاومة محمد بن عبد الله الشريف ورقلة سنة1851، الذي تأثر كثيرا بمبادئ وأفكار الشيخ محمد بن علي السنوسي، وكانت لمحمد بن عبد الله سمعة دينية طيبة إذ استطاع أن يجلب إلى حركته الثورية العديد من الطرق الصوفية.

كما عرفت مدينة الأغواط انتفاضة هامة بزعامة ابن ناصر بن شهرة أحد فرسان الأمير عبد القادر، وقد طال عمر هذه المقاومة إلى أكثر من أربع وعشرين سنة أي ما بين (1851-1875) وقد اتصل بزعيم ثورة ورقلة (الشريف محمد بن عبد الله) واتفق معه على إعلان الجهاد ضد الفرنسيين.

ومن بين الزعمات التي يرجع إليها الفضل في استكمال المقاومة في الصحراء محمد التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة والمنتمي إلى الطريقة السنوسية، الذي أعلن ثورته سنة1869 وأمد العون لابن شهرة ومحمد بن عبد الله وبذلك اتسع نطاق العمليات الجهادية واتسعت مقاومته من وسط الصحراء إلى جنوب غرب مدينة عين صالح.

كما شهدت منطقة توات عدة معارك أهمها معركة الفقيقيرة التي وقعت في28ديسمبر1899 بقيادة الحاج المهدي باجودة، ومعركة الدغامشة في5جانفي1900 بقيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس، ومعركة إينغر في19مارس1900 بقيادة الزعيم عزي الحاج محمد الذي رفض الاستسلام وفضل الجهاد إلى أن سقط شهيدا، وعلى غرار باقي جهات الوطن شهدت منطقة الطوارق مقاومة شعبية وخاض الطوارق في كل من منطقتي الهقار وجانت عدة معارك منها ثورة الشيخ آمود.

الخاتمة :

توصلت في الختام إلى مجموعة من الاستنتاجات أوجزها في الآتي:

-أن التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية لم يكن وليد الصدفة ،بل كان تخطيطا مبرمجا منذ زمن بعيد وذلك أن عملية التوسع بدأت بإرسال المستكشفين إلى الصحراء الجزائرية، أمثال "رونية كايي" و"هنري بارث" و"دوفيري" و"رولف" و"فلاترس" وغيرهم وقد تقمصوا شخصيات متعددة وهم عبارة مجموعة من الجواسيس في أشكال رجال دين وأطباء وضباط متنكرين في لباس أهل المنطقة أو علماء جيولوجيا أو نبات وقد تعرض الكثير منهم إلى الهلاك بعد أن كشف سكان المنطقة أمرهم وقد قدم هؤلاء المستكشفون تقارير ومذكرات عن الصحراء حثوا فيها فرنسا على احتلال هذه الأراضي الغنية بالثروات المعدنية لذلك عزمت فرنسا على احتلال الجنوب الجزائري الصحراوي.

-استطاعت فرنسا أن تتوغل في الجنوب الجزائري بمساعدة بعض الأهالي أمثال الشيخ عثمان الذي مد العون والمساعدة إلى دوفيري وخدمه بالمعلومات عن حياة التوارق ، وبن سالم الذي طلب الحماية من الفرنسيين وصار ماليا لهم وعين من طرف السلطات الفرنسية خليفة على الأغوط.وحمزة ولد بوبكر الذي انتهت سلطنة ورقلة على يده وسلمها للفرنسيين.

-قامت فرنسا بفتح المعابر وشق الطرق ومد السكة الحديدية لتسهيل عملية التوسع، وادعت خلق بحر داخلي في الصحراء.

-استطاعت فرنسا أن تتوغل في الجنوب الجزائري بمساعدة بعض الأهالي أمثال الشيخ عثمان الذي مد العون والمساعدة إلى دوفيري وخدمه بالمعلومات عن حياة التوارق ، وبن سالم الذي طلب الحماية من الفرنسيين وصار

ماليا لهم وعين من طرف السلطات الفرنسية خليفة على الأغوط.وحمزة ولد بوبكر الذي انتهت سلطنة ورقلة على يده وسلمها للفرنسيين.

-سعت فرنسا إلى محاولة طمس الدين الإسلامي، لذا قامت بإرسال مجموعة من المبشرين لنشر المسيحية ومن بنهم الكاردينال لافيجري الذي كان يهدف إلى تنصير أكبر عدد من الجزائريين ،وشارل دوفوكو الذي عمل على نشر النفوذ الفرنسي في منطقة الهقار،وإدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم.

- عزمت فرنسا على احتلال الجنوب الجزائري وبدأت قواتها تكتسح أبواب الصحراء والمناطق الإستراتيجية فاحتلت الأغوط سنة1852م بعد مقاومة عنيفة من طرف سكان المنطقة ولحقتها ورقلة التي وقعت تحت قبضة المستعمر سنة 1853م ،وتقرت سنة 1854م،ثم غرداية سنة1882م بعد أن وقع أهل ميزاب اتفاقية الحماية سنة1852م، وبذلك احتلت فرنسا المداخل الأولى للصحراء الكبرى،وبعدها جاء التوسع المنظم والعسكري لعين صالح وتوات والساورة فشرعت في تشييد الحصون المنيعة كمراكز ارتكاز ومنطلقات أمامية لحركة الزحف والتوسع الاستعماري في الصحراء ،وأخيرا التوسع في الهقار والطاسيلي وهما من أعرق المناطق الحضارية والتاريخية،إلا أن القوات الفرنسية وجدت مقاومة عنيفة من طرف السكان وقفت في وجه الزحف الاستعماري.

-وجد الاحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة باسلة وقفت في وجهه، ولعلَّ من بين أهم الثورات الشعبية التي قاومت سياسة التوسع الاستعمارية،مقاومة محمد بن عبد الله شريف ورقلة سنة1851،الذي تأثر كثيرا بمبادئ وأفكار الشيخ محمد بن علي السنوسي، وكانت لمحمد بن عبد الله سمعة دينية إذ استطاع أن يجلب إلى حركته الثورية العديد من الطرق الصوفية.

-كما عرفت مدينة الأغواط انتفاضة هامة بزعامة ابن ناصر بن شهرة أحد فرسان الأمير عبد القادر،وقد طال عمر هذه المقاومة إلى أكثر من أربع وعشرين سنة أي مابين (1851_1875) وقد اتصل بزعيم ثورة ورقلة (الشريف محمد بن عبد الله) واتفق معه على إعلان الجهاد ضد الفرنسيين .

- ومن بين الزعمات التي يرجع إليها الفضل في استكمال المقاومة في الصحراء محمد التومي بن إبراهيم المدعو بشوشة المنتمي إلى الطريقة السنوسية،الذي أعلن ثورته سنة1869م وأمد العون لابن ناصر بن شهرة ومحمد بن

عبد الله وبذلك اتسع نطاق العمليات الجهادية واتسعت مقاومته من وسط الصحراء إلى جنوب غرب مدينة عين صالح.

– كما شهدت منطقة توات عدة معارك أهمها معركة الفقيقيرة التي وقعت في28ديسمبر 1899م بقيادة الحاج المهدي باجودة،ومعركة الدغامشة في 05 جانفي1900بقيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس، ومعركة اينغر في 19مارس1900بقيادةالزعيم عزي الحاج محمد الذي رفض الاستسلام وفضل الجهاد إلى أن سقط شهيدا ،وعلى غرار باقي جهات الوطن شهدت منطقي الهقار والطاسيلي مقاومات شعبية خاض فيها الطوارق (الايموهاق) عدة معارك منها ثورة الشيخ آمود الذي ألحق بالجيش الفرنسي عدة هزائم.

– لم تتوقف المقاومة في الجنوب الجزائري وظلت صامدة في وجه الاستعمار ولقد ناضل أهل الجنوب بالسيف والقلم إلى أن إندلعت ثورة أول نوفمبر.

الملحق رقم : ٠١

صورة الشريف محمد بن عبد الله

رضوان شافو : المرجع السابق ص ١٦٦

الملحق رقم : ٠٢

الشريف بوشوشة

رضوان شافو : المرجع السابق ، ص ١٦٥

الملحق رقم 05

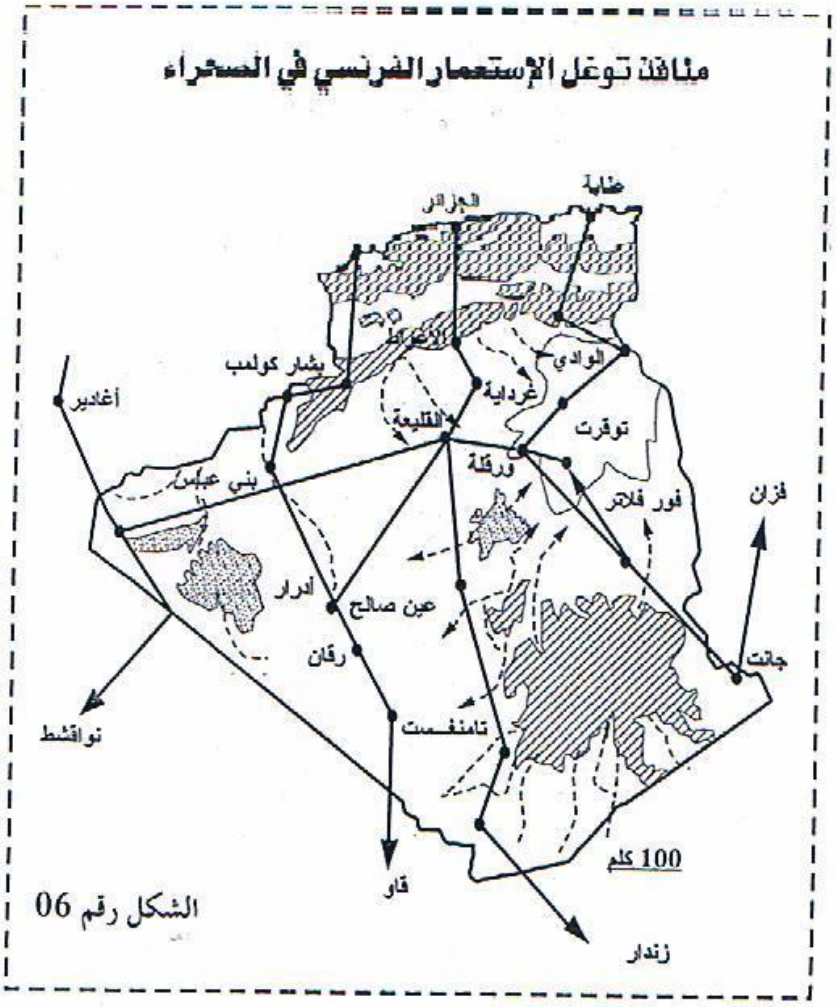

الشكل رقم 06

حميدة عميراوي : المرجع السابق

الملحق رقم 03

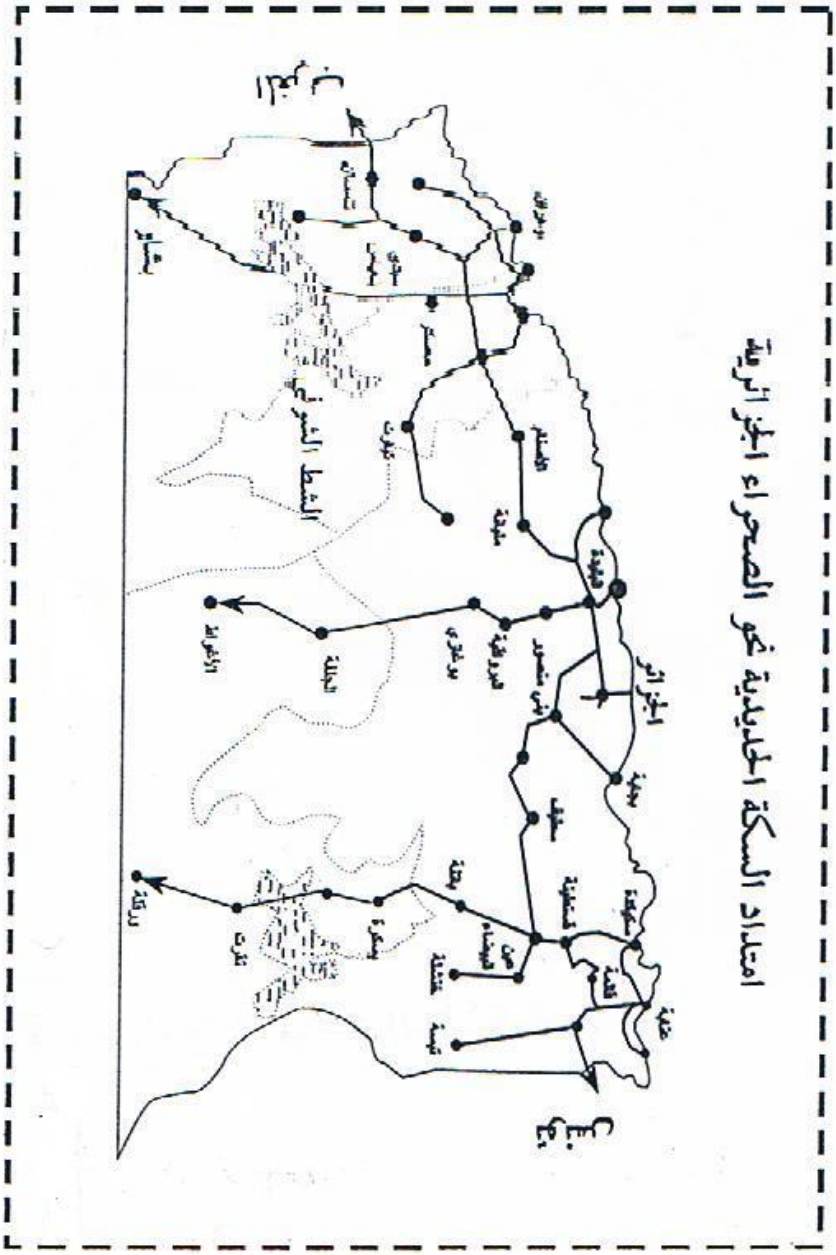

حميدة عميراوي : المرجع السابق

الملحق رقم 04

خريطة الجزائر

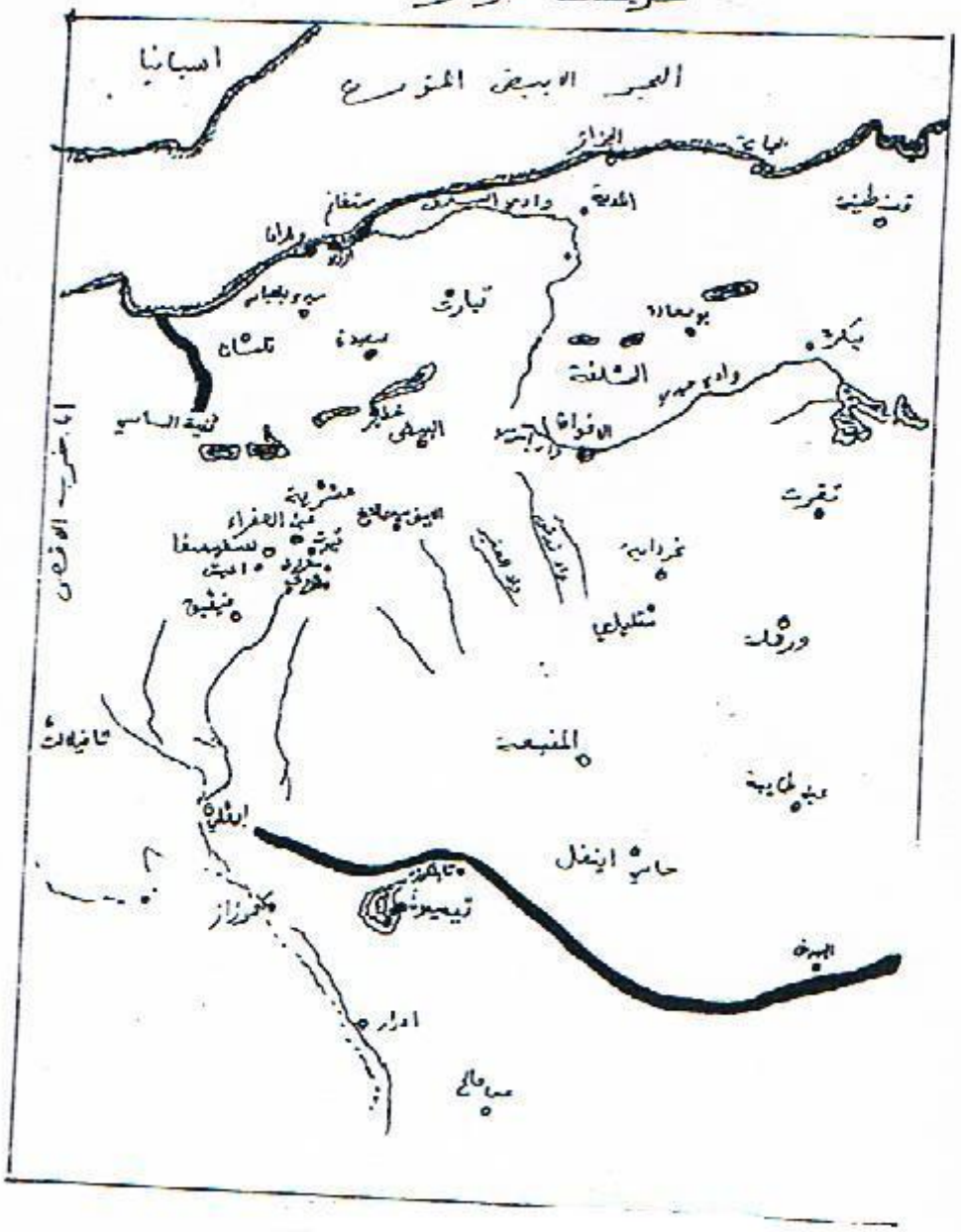

إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق

الملحق رقم 06

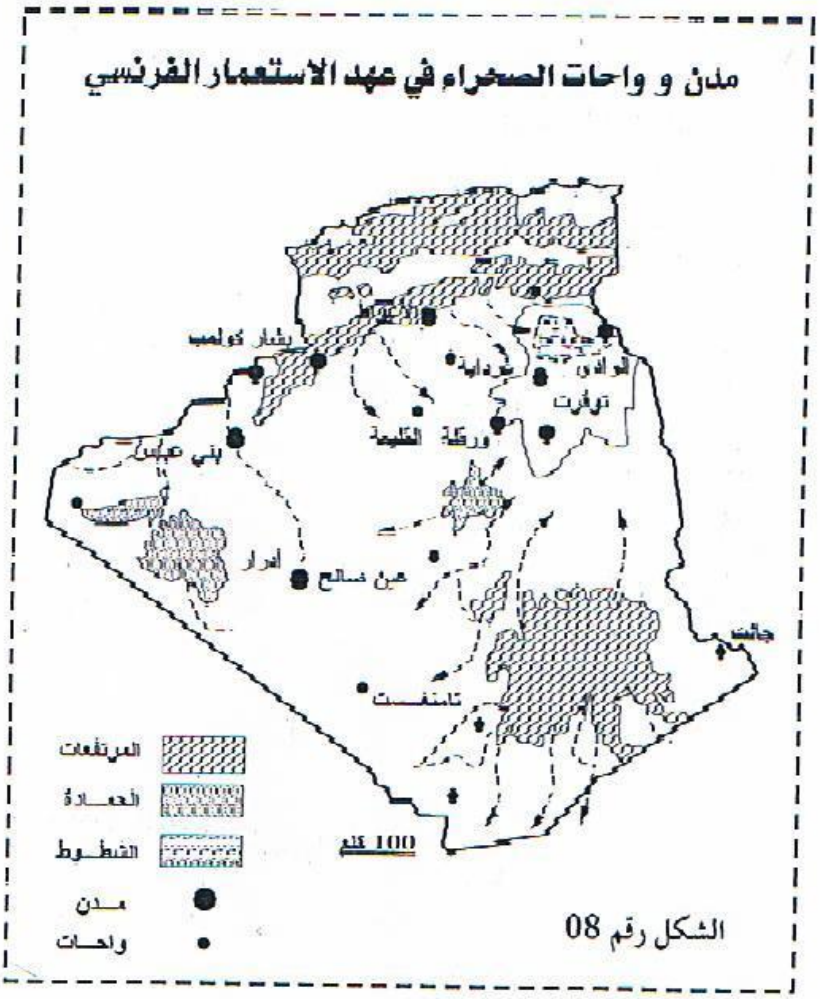

الشكل رقم 08

حميدة عميراوي : المرجع السابق

فهرس المحتويات:

الاهداء

شكر وعرفان

مقدمة

مدخل.....07_09

الفصل الأول:المخططات الفرنسية للتوسع في الجنوب الجزائري.....10_41

المبحث الأول:تقارير الرحالة الأوربيون عن الصحراء الجزائرية.....11_20

أ/البعثات الإنجليزية لاستكشاف الصحراء الجزائرية.....11_13

ب/ البعثات الفرنسية لاستكشاف الصحراء الجزائرية.....13_20

ج/ التقارير والاستخبارات ودورها في عملية التوسع.....21_23

المبحث الثاني:المشاريع الفرنسية لاحتلال الجنوب الجزائري.....23_31

أ/مشروع السكة الحديدية.....23_28

ب/مشروع البحر الداخلي.....28_31

المبحث الثالث:المبشرون ودورهم التوسعي.....32_41

أ/مفهوم التبشير.....32_33

ب/الكارينال لافيجري.....32_37

ج/شارل دوفوكو.....37_41

الفصل الثاني:التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري.....42_66

المبحث الأول:التوسع في شمال الصحراء.....43_53

أ/التوسع الفرنسي في منطقة الأغواط.....43_47

ب/ التوسع الفرنسي في منطقة غرداية.....47_49

ج/ التوسع الفرنسي في منطقة تقرت.....49_52

د/ التوسع الفرنسي في منطقة ورقلة.....52_54

المبحث الثاني:التوسع في الجنوب الغربي.....54_62

أ/احتلال منطقة تيديكلت.....540_57

ب/احتلال قورارة وتوات.....57_59

ج/اخضاع منطقة الساورة.....59_62

المبحث الثالث:التوسع في الجنوب الشرقي.....62_66

أ/اخضاع منطقة الهقار.....62_64

ب/اخضاع منطقة الطاسيلي.....64_66

الفصل الثالث: ردود الفعل الوطنية.....67_89

المبحث الأول :المقاومة في شمال الصحراء.....68_78

أ/ مقاومة الشريف بن عبد الله.....68_73

ب/ مقاومة ابن ناصر بن شهرة.....73_78

المطلب الثالث:مقاومة بشوشة.....78_82

المبحث الثاني:المقاومة في الجنوب الغربي.....82_89

أ/معركة الفقيقيرة.....82_84

ب/معركة الدغامشة.....84_86

ج/معركة إينغر.....86_89

المبحث الثالث:المقاومة في الجنوب الشرقي.....89_93

أ/مقاومة توارق الهقار.....89_90

ب/مقاومة الشيخ آمود.....90_93

خاتمة.....95_97

الملاحق.....105_99
قائمة المصادر والمراجع.....112_106
فهرس المحتويات.....